المقتطف

الجزء الثاني عشر من المجلد السادس والعشرين

١ دسمبر (كانون ١) سنة ١٩٠١ — الموافق ١٨ شعبان سنة ١٣١٩

لي هنغ تشنغ وزير الصين

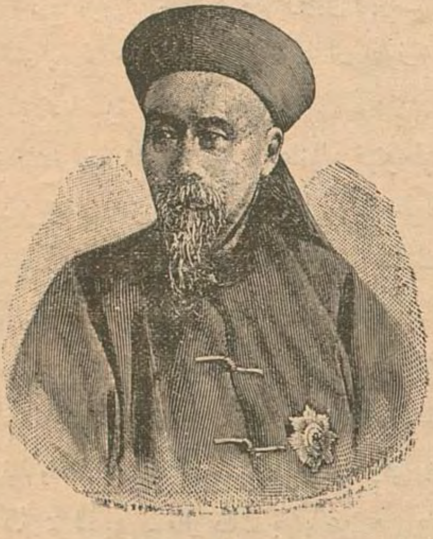

نعى البرق من بلاد الصين وزيرها الاكبر واشهر رجال السياسة الشرقيين بلا مراء لي هنغ تشنغ . وقد يُظَن لاول وهلة انهُ مستسمَن وهو ذو ورم مذكور بشهرة لا يستحِقُّها لان حرب الصين مع اليابان فضحت ما استتر من ضعف الصين وجاء قيام البكسر فيها وتهجم الدول الاوربيَّة عليها حتى دخلوا عاصمتها عنوةً مؤيدًا لضعف سياستهِ وسياستها. ولكن ثبوت الصين امام اليابان وامام اوربا كلها وهي مثل شيخ بدين اعجزهُ الكبر والسمن عن الوقوف والحركة لاغرب من انخذالها واندحارها وبهِ يظهر دهاء وزيرها الاول وفضلهُ

وقد اطلعنا على ترجمة هذا الوزير بقلم جون رسل ينغ سفير الولايات المتحدة في بلاد الصين كتبها منذ ست سنوات فلخصنا منها ما يأتي قال

كنتُ راجعاً من اسيا سنة ١٨٧٩ برفقة الجنرال غرانت (رئيس الولايات المتحدة وقائد جيوشها في الحرب الاهلية) فذكر الرجال الذين لقيهم في تطوافهِ حول الارض ولا سيما الملوك ورجال السياسة وقال "لقيت في هذه الرحلة اربعة من العظماء بسمارك وبيكنسفيلد وغمبتا ولي هنغ تشنغ وعندي ان الاخير اعظمهم" فاعترضت عليهِ لانني كنتُ اكره سياسة بيكنسفيلد وأُعجب بغلادستون ندهِ ولكن الجنرال غرانت لم يكن يميل مع الاهواء ولا يدع هوى النفس يخرجهُ عن جادَّة الصواب ولقد بذل جهدهُ حتى لقي دوق ارجيل وجون بريت وكان يكرمهما اكراماً يقرب من العبادة لانهما كانا محازبين للولايات الشمالية على الجنوبيَّة في الحرب الاميركية (اي كانا من حزبهِ) وقابل بيكنسفيلد مكرهاً واحترمهُ احتراماً عقلياً لا قلبيّاً لانهُ علم ان التاريخ سيبقي اسمهُ فوق اسم ارجيل و بريت . وقد اعرب بيكنسفيلد عن ميلهِ الى الولايات الشمالية لا حبّاً باهلها بل لانهُ علم ان الفوز سيكون لها وانهُ ليس من مصلحة انكلترا ان تعادي بلاداً فائزة

ولما تعرفت بلي هنغ تشنغ سنة ١٨٧٩ كان في عنفوان قوتهِ طويل القامة مهيب الطلعة بشوش الوجه برَّاق العينين يخالف وزراء المشرق في انهُ سريع الحركة كثير النشاط يصافح من يسلم عليهِ ويشد على يدهِ كما يفعل الانكليز . ويقال انهُ يغتاظ احياناً فيضطرُّ مجالسوهُ ان يهربوا من وجههِ اما انا فلم ارَهُ في هذه الحال قط بل كنتُ اراهُ دائماً جامعاً بين الدعة والحزم انيس المحضر يأنس بمن يحدثهُ الاحاديث الطويلة ويقصُّ عليهِ نوارد الاخبار ولا سيما اخبار الرجال العظام . وهو واسع الاطلاع قرأ كتاب حقوق الدول الذي ألَّفهُ هوتن وقد ترجم الى اللغة الصينية واعطاني نسخةً منهُ مرةً وقال لي ارني اين يقول هذا المؤلف ان للعبدْ حقوقاً في اميركا اكثر مما للصيني . قال ذلك جواباً عن امرٍ طلبتهُ منهُ ولم يكن راضياً عن مهاجرة الصينيين الى اميركا ولا كان يود ان يحميهم فيها ولمَّحتُ الى ذلك تلميحاً فنظر اليَّ ضاحكاً ولم يقلْ شيئاً . وهذه هي المرَّة الوحيدة التي ذاكرتهُ فيها في امر المهاجرة

وهو كريم كثير التودُّد لزائريهِ يبذل جهدهُ لكي يخرجوا من مجلسهِ راضين وقد يكتشف بفراستهِ ما يريدونهُ ويعرضهُ عليهم عرضاً قبلما يطلبونهُ . ويرسل يختهُ مسافة خمسين ميلاً اكراماً لزوجات السفراء ولا ينقطع عن الشغل ولا يقنع بغير الوقوف على كل ما يجري في البلاد حتى التلغرافات التي ترد على الناس ترسل صورتها اليهِ ليطَّلع عليها واذا تعذَّر عليهِ حل شيءٍ

فيها استدعى مَن أُرسلت اليهِ وطلب منهُ حلَّهُ . ولما رأى السفراءُ منهُ ذلك قالوا لا يفلُّ الحديد الأَّ الحديد وصاروا اذا اعتاص عليهم امر يبعثون تلغرافات سرية الى امراء البحر ليكونوا على اهبة فيطَّلع على صورتها خلسةً ويتلافى الشر قبل وقوعهِ وهو يحسب انهُ غلبهم في الدهاء ولا يعلم انهُ المغلوب

وهو صيني قحّ لم يرفعهُ علمهُ واختبارهُ عن الاوهام التي يعتقدها قومهُ. ولم يتعلم لغةً اجنبيَّةً لكنهُ حفظ بعض الكلمات الانكليزية وهو يستعملها ضاحكاً خجلاً لانهُ يعلم انهُ لا يحسن استعمالها والتلفظ ولا يريد ان يخفي ذلك ويتظاهر بغير الواقع . والظاهر ان استخفاف كبراء الصين بالاجانب ولغاتهم هو الذي منعهُ من تعلُّم الانكليزية او الفرنسوية . ولم يجاهر بذلك قط لكي لا يغتاظ منهُ احد . وكرههُ لدول اوربا متأَصل في نفسهِ لانهُ لا يرى منها الأَّ العدوان وقد يجاهر بملامتها ولا يحاذر ولا سيما اذا ذُكرت حرب الافيون التي اثارها الانكليز على الصين وتهجُّم فرنسا على التنكين وروسيا على الولايات الشمالية . وهو لا يعبأُ بالمرسلين دعاة الديانة المسيحية واما الاطباءُ منهم فلهم عندهُ شأن كبير ومقام رفيع وكان يودُّ ان يدخل صناعة الطب الغربية الى بلادهِ ويقول ان الاطباء هم الذين سيفتحون الباب للمرسلين اذا كان فتحهُ ممكناً . ولا يسلّم ان المرسلين آتون لغاية دينية محضة لانهُ لا يعقل عند الصينيين ان احداً يهاجر من بلادهِ ويذهب الى بلاد بعيدة وشعوب غريبة لكي يعلمهم ويدربهم وليس لهُ من وراء ذلك منفعة ذاتية . ويقولون ان المرسل الذي يحمل الانجيل في يدهِ هو رائد الجندي الذي يشهر السيف ويصوّب المدفع والتاجر الذي يأتي بالافيون ويكتسب الاموال وان دعاة الدين هم الذين دكوا حصون تاكو واضطروا الصينيين الى ابتياع الافيون

والافيون اكره شيءٍ عليهِ وهو عندهُ المصيبة الكبرى على الصين لانهُ نزع احلام رجالها وحطَّهم الى ادنى دركات الذل . وهو يقول ان انكلترا اضطرتنا الى ابتياع الافيون منها اضطراراً لكي تملأَ خزائن الهند وتستطيع الانفاق على حكومتها وان الصين تدفع ثمن الافيون الذي يرد اليها اكثر مما تنقد من ثمن الحرير الذي يصدر منها . وقلتُ لهُ مرةً ان زراعة الافيون آخذة في الانتشار في بلاد الصين نفسها وانهُ اذا شاءَ منع هذا الشر فليبدأْ ببلادهِ فقال كلاَّ بل انا اعضد الناس على زرع الافيون لكي اميت تجارة الهند بهِ ومتى ماتت وابطل الهنود زرعهُ فبامر واحد من السلطان ابطل زرعهُ من كل بلاد الصين واعيد الارض لزرع الارز والحنطة

وهو صعب المراس لا تسهل معاملتهُ لانهُ يقلِّب الامور ويطيل نظرهُ فيها قبلما يبت

حكمهُ ولا يؤخذ على غرَّة ولا يخفى عليهِ شيءٌ من مواقع الضعف في ما يُعْرَض عليهِ ولا يسلّم تسليماً اعمى ولا يقبل شيئاً ما لم يزنهُ بميزان العقل ويجدهُ خالياً من كل شائبة لكنهُ صادق الوعد اذا قال قولاً لم يرجع فيهِ واذا اتفق معك على شيء قام بهِ

ولم يرَ من الاجانب احتفالاً بشأنهِ مع ما ابداهُ لهم من التودُّد كأنهم يحسبون ان لا فلاح لهم الاَّ اذا غاضبوا الوطنيين كما فعل اخوانهم في بلاد الهند مع ان الصينيين يخالفون الهنود في ذلك لان ما اعتادهُ الهنود من الذل قروناً كثيرة لم يرَ الصينيون شيئاً منهُ . فلما رأى احجام الاجانب عنهُ نفر منهم ولم يعُد يتودَّد اليهم

وقد غاظهُ اقتداء اليابانيين بالاوربيين وراقب اصلاحهم لمدارسهم واقتفاءهم خطوات الاوربيين في اصلاح جنديتهم وبحريتهم بعين الغيرة بل بعين الكراهة لانهُ من اشد الناس احتفاظاً بالعوائد القديمة وولدت فيهِ هذه الكراهة الاحتقار لليابانيين (ولعلَّهُ عدل عن رأيهِ بعد الحرب الاخيرة بين الصين واليابان والاَّ فهو شديد الغرور) ولكنها لم تحملهُ على مجانبة السلم والجنوح اليهِ ولم يقبل بمحاربة اليابان الاَّ وهو معتقد ان الصين تستطيع ان تمحو آثارها عن وجهِ البسيطة . ولما نشبت الحرب بين فرنسا والصين قبل ذلك ورغبت فرنسا الى اليابان في ان تعاونها وابت اليابان ذلك بسعي سفيرها في الصين عرف لها هذا الجميل ثم ارسلت اليابان وفداً الى الصين برئاسة الكونت ايتو لتؤكد لها صدق ودادها فرحَّب بهِ وقابلهُ بالاكرام وحسب ان سياستهُ غلبت سياسة اوربا

ذاكرتهُ مراراً في شأن هذا الوفد وذكَّرتهُ بنصيحة الجنرال غرانت الاخيرة لهُ وهي ان يخطب وداد اليابان ويبقى على تمام الوئام معها لان ذلك لازم لحفظ بلادهِ وتقدُّمها ونصحت لهُ ان يردَّ زيارة الوفد الياباني بنفسهِ فيمضي الى بلاد اليابان ويرى اليابانيين في بلادهم ويقف على احوالهم واكَّدت لهُ ان الميكادو (امبراطور اليابان) يكرم وفادتهُ ويرحّب بهِ فتتمكن ربط الوئام بين البلادين. وعندي انهُ لو فعل حسب نصيحتي ما وقعت الحرب بين الصين واليابان

وكان ينظر الى الولايات المتحدة الاميركية نظر الصداقة والوداد ويقول انها الحكومة الوحيدة التي لا مأرب لها في اجتياح الصين وان مصلحة الاميركيين تقضي عليهم بمصادقة الصين ولذلك لا توجس منهم شرًّا. وكان يتمنى ان يكون بينهُ وبيننا عهود وروابط تجارية محكمة ولو مالت كفة الربح نحونا . وباع شركة البواخر الصينية التجارية للاميركيين قائلاً اذا لم تستطع هذه البواخر ان ترفع العلَم الصيني فلا يود ان ترفع الاَّ العلَم الاميركي. وكأنهُ لحظ اننا عدلنا عن سياستنا القديمة سياسة الاتفاق مع انكلترا في كلِّ شيء سواء كان لنا فيهِ مصلحة

او لم يكن ما دام فيهِ مصلحة لانكلترا وصرنا نوافق انكلترا على ما لنا فيهِ مصلحة فقط فسرَّهُ ذلك وصوَّب سياستنا وصار يعرض علينا كل مسألة يقع الخلاف بيننا وبينهُ فيها لنحلها بطريقة غير رسمية . ولا يقيم في بكين بل في تينتسين وهي تبعد عن بكين ثمانين ميلاً لكنهُ كان يعرف كل ما يدور في وزارة الخارجية من المذاكرات والمداولات بينها وبين السفراء ولا يبتُّ امرٌ فيها الاَّ برأيهِ واذا اعتاصت مسألة ذهب وزير الخارجية اليهِ بنفسهِ وحلَّ المشكل معهُ

ومما يمتاز بهِ الصينيون عن امم الارض اكرامهم العظيم لوالديهم حتى اذا مات احد الوالدين اضطرَّ اولادهما ان يتركوا مناصبهم كلها والقابهم ويذهبوا الى القبر ويلبسوا المسوح والرماد كل مدة المناحة . ولما كنت سفيراً في الصين كان السفراء يتوقعون موت ام لي هنغ تشنغ لانها كانت في التسعين من عمرها وموتها يقضي عليهِ بالاستعفاء من منصبهِ والانقطاع عن الاشغال السياسيَّة

وتوفيت امهُ فترك منصبهُ واسرع اليها وتبعهُ اخوهُ وهو والي ووتشانغ فتنفس خصومهُ الصعداء وحسبوا ان الجو قد خلا لهم . واذا بارادة سنيَّة صدرت من ملك الصين تأمرهُ بترك الحداد على امهِ والرجوع الى منصبهِ بعد ثلاثة اشهر . امرٌ لا مثيل لهُ في تاريخ الصين ولكن امر الملك مقدَّس عندهم ولا بدَّ من طاعتهِ فترك القبر وعاد الى الولاية .

ولما عاد كنت في شفو ورأيت يختهُ في الميناء ذات يوم فوددت ان ازورهُ واعزيهُ عن وفاة امهِ وبعثت اسألهُ عما اذا كان الحداد لا يمنعهُ من مقابلتي فجاءني رئيس حرسهِ يقول انهُ يودُّ مقابلتي ويدعوني اليهِ . ولم يكن يخطر ببالي شيءٌ عن المسح والرماد حتى رأيتهُ فوجدتهُ واقفاً كالخيال لابساً ثوباً من اخشن ما يكون وقد امتنع عن حلق شعرهِ ومشط الذؤابة المتدلية من رأسهِ وغضون الحزن بادية في وجههِ وراحتاهُ شاحبتان كانهما ممرغتان بالرماد مع انهُ من المفرطين في نظافة ابدانهم وتنميق اثوابهم فثبت لي انهُ وهو اعظم رجل في بلاد الصين فعل ما يفعلهُ احقر رجل فيها اكراماً لامهِ ومعتقدهِ . وقابلتهُ بعد ايام في تينتسين وكان قد خلع ثوب الحداد وعاد الى حلله الفاخرة .

ويمتاز هذا الوزير على اكثر رجال السياسة في انهُ عصامي لا عظامي ارتقى باستحقاقهِ لا غير وهو من عائلة حقيرة تلقى الدروس في مدارس الصين وارتقى من مدرسة الى اخرى الى ان اجيز لهُ من اعلى مدارس بكين واشتهر بالشعر والفلسفة والانشاء . والانشاء ضروري لكل من يحوز رتبة عالية في تلك البلاد فارتقى في المناصب وحدثت ثورة الصين في ايامهِ ودُعي غوردون لاخمادها ويقول الصينيون انهُ هو الذي اخمدها لا غوردون واختصم الاثنان

لأَن لي نكَّل برؤَساء الثائرين بعدما سلَّموا و يقال ان غوردون تبعهُ حينئذٍ والفرد في يدهِ قاصداً قتلهُ لانهُ نكث عهدهُ لرؤَساء العصاة . ثم لما خمدت سورة غيظهِ قال ان لي كان مصيباً وانهُ لو لم يضرب اعناق اولئك العصاة لضربوا عنقهُ

وزارهُ غوردون سنة ١٨٨٠ في تينتسين وكانت روسيا تتهدَّد الصين بالحرب وكان لي راغباً في مشاهدة غوردون واستشارتهِ في هذا الخطب و يقال ان غوردون اشار عليهِ حينئذٍ ان يقوم بجنودهِ الى بكين ويخلع العائلة المالكة و يملك بدلاً منها فتزول المشاكل . فاصغى اليهِ صامتاً و كأَنهُ قال في نفسهِ كيف اخون العائلة التي رقتني ورقت اخي او قال ان ملكاً ينال مُلكهُ بسيف غوردون يبقى خاضعاً لهُ كما يخضع اقيال الهند لسادتهم الانكليز

ووصل الخبر الى بطرس برج فاقام الروس واقعدهم ورفعوا الامر الى لندن وكان غلادستون يكرهُ معاداتهم فامر غوردون بالخروج من الصين حالاً

هذه خلاصة ما كتبهُ السفير الاميركي منذ ست سنوات ونزيد على ذلك ان لي هنغ تشنغ ارتقى في المناصب حتى جُعل والياً على ولاية بتشلي التي منها مدينة بكين عاصمة الصين ورئيساً للوزراء ووزيرًا للخارجية وقهرماناً للامبراطور ومديرًا عامًّا لتحصين السواحل الشمالية وللعمارة البحرية وعهد اليهِ في امضاء شروط الصلح مع اليابان سنة ١٨٩٥ وأُرسل مندوباً خاصًّا لحضور تتويج القيصر في شهر مايو سنة ١٨٩٦ ثم شخص الى المانيا وفرنسا وانكلترا والولايات المتحدة الاميركية وكندا فاكرم الملوك والرؤَساءُ وفادتهُ ورحب بهِ الامراءُ والعظماءُ وكان حيث يلقي عصا الترحال اكبر جاذب تندفع اليهِ افكار اهل السياسة ويتألب حولهُ مكاتبو الصحف ووكلاءُ الشركات البرقية لاذاعة انباء ما ينطق بهِ و يشير اليهِ في تلك العواصم الكبرى . ولم يغادر عاصمة منها الاَّ زار مصانعها ومعاملها وتفقد مشاهدها ومعالمها وخلف فيها اثرًا من الحكمة والدهاء يؤْثر عنهُ ويعجب منهُ

ولما رجع الى بلادهِ أُسند اليهِ منصب نظارة الخارجية ثم بُغي عليهِ وعزل سنة ٩٨ وفي نهايتها اقامتهُ الامبراطورة مندوباً لانشاء السدود على النهر الاصفر ثم عُين حاكماً لكنتون . ولما نكبت بلادهُ بفتنة البوكسر وساقت اوربا جيوشها الى بكين انتدب الى حل ما انعقد وتدارك ما فرط فابدى من الحرص على سلامة بلادهِ وترضي الدول المتعنتة ما ادهش العقول وحير الافكار . وجملة القول انهُ انتشل بلادهُ من ورطة قلَّ من قدَّر لها النجاة منها ونكَّل بكثيرين من موقدي فتنة البوكسر

وقد عاش عمرًا طويلاً ثمانياً وسبعين سنة وشبع من هذه الدنيا شهرةً وعزًّا وغنيً

الفينيقيون وعمران اوروبا

وما ذكركِ الشيء الذي ليس راجعاً بهِ الوجد الاَّ خفقة من ضلالكِ
أَمَا والذي حجَّ الملبُّون بيتهُ شلالاً ومولى كل باقٍ وهالكِ
لئن قطع اليأسُ الحنين فانهُ رفوءٌ لتذراف الدموع السوافكِ

وقد يقطع اليأسُ الحنينَ الى الوطن ولكن الذكرى تجددهُ وهي تتجدد كل يوم اذ يحمل الينا البريد اخبار ابناء الشام المتفرقين في انحاء المسكونة حيث القوا عصا الترحال ووسَّعوا المتاجر وانشأُوا الجرائد ابناء الفينيقيين الذين طافت سفائنهم بسواحل بحر الروم ودارت حول افريقية وبلغت الجزائر الانكليزية الذين مصَّروا المستعمرات في كل بلاد وصلوا اليها يوم لم يكن للاوربيين اسم يذكر

كتب الينا ولدنا من البلاد الانكليزية يقول زرت بيوت السوريين في منشستر فاذا هي قصور مثل بيوت الكبراء من الانكليز فيها المقاصير الكبيرة والصور الثمينة وافخر انواع الاثاث والرياش تحفُّ بها الحدائق الغناء وهم ونساؤُهم واولادهم في اطوارهم وازيائهم واحاديثهم مثل جلَّة القوم الذين استوطنوا بلادهم . ينظر الانكليز اليهم نظر الاكفاء الى الاكفاء فيزورونهم و يضيفونهم و يدعونهم الى الحفلات الكبيرة التي لا يدخلها الاَّ خاصتهم . جاء اللورد روبرتس القائد العام هذه المدينة فكان السوريون بين اعاظم القوم الذين قُدّموا اليهِ وحادثوهُ وحادثهم في شؤُون مختلفة هؤُلاء ابناء البلاد التي كانت تفيض اللبن والعسل في غابر الازمان روَّاد الحضارة وناشري راية العمران ولكن

اربَّ بهم ريب المنون كانما على الدهر فيهم ان يفرقهم نذرُ

خطب الاستاذ بويد دوكنس العلاَّمة الشهير بالامس خطبة ذكر فيها المؤَثرات التي كان لها اليد الطولى في عمران البلاد الانكليزية قبل زمن التاريخ فقال ما ترجمتهُ

ان استيطان الفينيقيين سواحل بحر الروم الشرقية قبل المسيح بسبعة عشر قرناً لهُ الشأن الكبير في عمراننا فان منهم التجَّار العظام الذين نقلوا بضائع مصر واشور الى الشعوب القاطنة حول بحر الروم وانشأُوا المستعمرات في كل مكان وصلوا اليهِ ومن اعظم مستعمراتهم قادس في اسبانيا انشأُوها سنة ١١٠٠ قبل المسيح وقرطاجنة في افريقية انشأُوها سنة ٨١٤ قبل المسيح ثم اخترقت سفنهم عباب الاوقيانوس الاتلنتيكي وضربت شمالاً ومن المرجح انهم بلغوا الجزائر

البريطانية ومعهم بضائع البلدان الواقعة على بحر الروم وعادوا بالقصدير من كورنول والذهب من ارلندا

وفي ذلك العصر كانت الشعوب النازلة حول بحر الروم قد انتظمت بعضها مع بعض واتحدت كلمتها على غزو القطر المصري فغزتهُ برًّا وبحرًا واجتاحت جانبًا من الذلتا (الوجه البحري) الى ان طردها منهُ الملك منفتاح الاول

ثم ذكر الخطيب ان تجار الفينيقيين وغيرهم من الامم القاطنة في سواحل بحر الروم دخلوا اواسط اوربا بطريق تريستا ومرسيليا قبل زمن التاريخ وضربت قوافلهم فيها شرقًا وغربًا وشمالاً وكانت تعطي الاهالي الاسلحة والحلى كالسيوف والفؤُوس والخناجر والاساور والمرايا والابازيم وغيرها من المصنوعات وتأْخذ منهم الكهرباء التي يجلبونها من السواحل الشمالية. وقال ان ذلك كلهُ عرفهُ اهل البحث حديثًا وهو نتيجة لازمة عن المباحث الاركيولوجيَّة التي تمَّت في العشرين السنة الاخيرة . وقول هذا العلاَّمة حجَّة يؤْخذ بها ويعتمد عليها في هذه المباحث وامثالها

وكتب المستر ڤانس مكتشف آثار كريت التي وصفناها في الجزء الثالث من هذه السنة ان عمران تلك الجزيرة قديم جدًّا متَّصل بعمران سورية واسيا الصغرى وفيهِ ادلَّة كثيرة تدلُّ على انهُ نشأ عند شعب اقدم عهدًا من الآريين ومن الساميين ايضًا وان هذا الشعب كان يسكن سورية وفلسطين واسيا الصغرى منذ عهد قديم جدًّا

ولا يخفى ان تاريخ المصريين اقدم من تاريخ الفينيقيين وعمرانهم اعظم وادلتهُ اكثر واثبت . وهم وان اضاعوا من عمرهم كأُمَّة خمسة عشر قرنًا كان التأَخر رائدهم فيها الاَّ ان نوائب الدهر هادنتهم اخيرًا وقد هبُّوا من سباتهم الآن ولا يبعد ان يستردُّوا مجدهم السالف بعد اعوام قليلة . اما اخوانهم ابناءُ الشام فلا ندري الى متى يبقى النحس طالعهم وهل يصفو لهم الدهر بعد كدرهِ ما دام في قوس الرجاء منزع او تطوّح بهم نوائب الزمن فيستوطن اكثرهم البلدان التي هاجروا اليها ولا يبقى منهم في بلادهم بقيَّة تذكر

ولسنا باول من فاتهُ   على رفقهِ بعض ما يطلبُ
وقد يدركُ الأَمرَ غيرُ الاريبِ   وقد يُصرَعُ الحُوَّلُ القُلَّبُ (١)
ولكن لها آمرٌ قادرٌ   اذا حاول الامر لا يُغلَبُ

نسألهُ تعالى اصلاح الحال وحفظ البقية الباقية والرفق بعبادهِ انهُ السميع المجيب

---

(١) الحوَّل القلب البصير بتقليب الامور

غذاء الفضل

في سير ذويهِ وفظائع مخالفيهِ

لما كانت معالجة الاخلاق العليلة من اخصّ مفاخر الصحف الجليلة . وكان المقتطف قد صار لانتشارهِ خطيب الاصقاع أتيت بهذه المقالة انبّه بها الافكار الراقدة للجدّ في استئصال العوائد الفاسدة

ان النفس لتأنس بالاقتداء . وتبادر الى الاحتذاء . وقلَّت نفسٌ تعاف الاتباع الى الابتداع . يدلك على ذلك ما ترى لهذا العهد من تهافت الناس على المتابعة في ازياء الملابس . وتكوين المنازل . والمشاكلة في المراكب والمشابهة في الاهرة والاثاث والخروج اثناء المكالمة العربية الى المراطنة بالاعجمية اما تفاخرًا واما استرسالاً مع هذه العادة المالطية الشوهاء فتصبح تلك المفردات الأعجمية بين الجمَل العربية كالرقعة الرثَّة في البرد القشيب

ولا يخفى عليك ان لكل جيلٍ ودولةٍ من العادات في الجذَل والأَسي والمخاطبة والمكاتبة والسلام والوداع وازياء الثياب وهندسة الاسواق والدور شيئًا يعتورهُ الجيل والدولة حتى ان علماء الآثار قد يستدلُّون حيث لا يجدون كتابة بهندسة الابنية على العصر الذي بُنيت فيهِ والدولة التي كانت متسلطةً وقتئذٍ . وكفى بهذا دليلاً على ان الجيل برمَّتهِ يحذو حذوًا واحدًا ملبسًا ومطعمًا وبناءً ومظهرًا وهو من اقوى البراهين واصرح الادلَّة على استئناس النفس بالاتباع . ومن الادلَّة الشائعة على ذلك اصطلاحنا الحديث في استقبال الكبراء بالقاء الخطَب وانشاء القصائد فترى صحفنا طافحةً بنحو "ولما دخل الدار حضرة صاحب الدولة فلان او او سعادة قائم المقام او جناب المدير انبرى الخطباء والشعراء واحدًا إثر واحد يخطبون وينشدون ويثنون على مالهُ من الايادي البيضاء" . وتراها ايضًا حافلةً بشبه "وما استقرَّ بغبطتهِ او سيادتهِ او حضرتهِ المقام حتى قدِّمت لهُ القصائد والخطَب وفي الختام خطب فيهم خطبةً نفيسةً رصَّعها بالدعاء لحضرة صاحب الخلافة العظمى ولوكلائهِ الفخام ورجال دولتهِ العظام فقابلها الحشد بتصدية الاستحسان" الى اشباه هذه مما عاد معروفًا عند مطالعي الجرائد كافةً

وانما السرّ في ذلك كلهِ ان الاتباع مهيع بيّن يسهل على كلّ ان يسلكهُ واما الابتداع فعدولٌ عن المتعارف لا تنتجهُ الاَّ قوة نفس وشهامة جنان . وما اقلّ ما يجود الزمان من تهديهِ لبابتهُ . وتدفعهُ شجاعتهُ الى ان يرفع لواء المناقضة وينشر بنود المخالفة لعادة سائدة في الناس مهما اخلَّت بمصلحة الكافَّة بل مهما جرَّت عليهم الوبال اذ انهُ ينفرد حزبًا بنفسهِ ويصبح والقوم

كلُّهم إلبًا واحدًا عليهِ . ويكفيك هذا علَّةً لتملك العادات السيئة الزمن الطويل حتى في الامم التي استفحل فيها العمران وادركت الأَمد الأَقصي من الحضارة والتمدُّن فهذه الممالك الاوربية على ما بلغتهُ من التبحُّر في كل علمٍ وصناعة تراها من وجهٍ آخر تذلّ العقل وتحتقر القوة الناطقة وترفع عليهِ القوَّة البهيمية وتحببها الى الشهوات البدنية . فمن ثمَّة توفرت في هاتيك الممالك دواعي ما يجحف بالآداب من العادات المرفوضة في اصول التهذيب الممنوعة في قواعد التثقيف التي انما اليها تنازع القوَّة البهيمية نزاع الصادي الى العذب الخصر . ولو أُوتيتُ من قوة الجنان ما يؤتى مصلحو عادات الأُمم وحاسرو البراقع عن بصائر الشعوب لذكرت منها ما يندى لهُ جبين الأَدب حياءً مما وصل شيءٌ منهُ الى هذا القطر الشامي وضرب فيهِ خيامهُ . ذلك بما اقبل عليهِ بعض الوجهاء والاعيان ورحَّب بهِ جماعة من اغنياء الزمان وكسروا علي رؤُوس الاشهاد القيود المقيدة عن استقبالهِ . ولم يبقَ عندهم من قوانين الاجتماع الانساني ما اذا رجعوا الى انفسهم وعرضوا عليهِ صنيعهم يتبينون الزيغ عن الجادة . وما وراء نكبة العقل هذه الأَ نكبات أخر من وداع الثروة وزوال العافية وتناقص النسل وذهاب البركة . ولا يعيد الى القوَّة الناطقة ما لها من حق الايثار والتكريم الاَّ نفس تحارب من يخالف قويم مشربها وتناهض من يعارض صحيح مأربها ولا تبالي بانقباض كبير . ولا تحفل بخسارة كثير بل تتحمل اشق المشاق ولا تتحمل مداراة من اعتسف سواء السبيل . ولا تزال بالثائرين حتى تكبح جماحهم وتخفض رؤُوسهم وتسوقهم للاذعان الى سلطتها نادمين

واذا علمت ذلك أَيقنت بالضرورة ان أَنجع غذاء للنفوس القوية والعقول الزكية بل اصدق ما يهديها السبيل الى استئصال الأَوهام ومحو السيء من العادات ويؤتيها عزيمة تكفل لها الظفر بمن يناصبها الحرب الزبون انما هو الائتمام بعظماء الرجال الذين خلعوا نير العادات المجحفة بالراحة المخلَّة بنظام العافية ونسخوا حنادس الجهل بتقريب أُولي العلم واقتراح التآليف النافعة عليهم وغمرهم بالاموال الطائلة ليتهيأَ لهم ان يتوفروا على تلك الاشغال العقلية ويحكموها غاية الاحكام ويخرجوها وافيةً بالمرام جاعلةً المقصود على طرف الثمام

فمن هنالك حرص الناس علي تدوين تراجم العلماء وكتابة سِيَر العظماء والكبراء من اصحاب الحلِّ والعقد وذوي الشأن في الارض لتكون ذكرى للخالين ومنهضًا لهمَم الحاضرين والآتين ومنتجعًا للخلائق الكريمة ومسترادًا للطبائع السليمة . وما اشبه سِيَر المشاهير بالتربة التي يستخلص منها كل نجم وشجر ما يساوق طبعهُ ويوافق جوهرهُ فمن تهجم بهِ نفسهُ على الاختراع يكثر من مطالعة قصص المخترعين ويسوم نفسهُ الصبر على مزاولة العمل ويدفعها لتحمل العناء

فتتجرع كؤوسهُ المرَّة واثقةً بأن من وراء ذلك حلاوة الفخر ولذَّة الانتظام في عداد المخترعين الذين أوجدوا في الدنيا ما لم يكن موجودًا وتبوأوا مقام مجدٍ لم تبلغهُ هِمم من عداهم . ومن يكثر من تصفُّح تراجم من اشتهروا بالاخلاص والمثابرة على العمل وتلقي مشاقهِ وتذليل صعابهِ وتمهيد عقباتهِ تنمي فيهِ تلك الخصلة الشريفة . وتبسق فيهِ على هاتيك المطالعة اغصان تلك الطبيعة الكريمة فيصير من السهل عليهِ ان يشرك في عملهِ من يستعين عليهِ بمالهِ ورأيهِ ممن يصير واياهُ شخصًا واحدًا اذ يرتفع من بينهما الحسد والطمع حتى لا يخطر ببال الواحد منهما ان يؤثر نفسهُ على شريكهِ بمالٍ او جاهٍ فيكونان واحدًا مشربًا واثنين عملاً وسعيًا وجدًّا . فينفتح لهما من ابواب الكسب واسباب المجد ما كان يتعذَّر فتحهُ على كلٍّ منهما لو انفرد ورحم الله من قال "القوة بالاتحاد" وتغمَّد بالرضوان الشاعر القائل

كونوا جميعًا يا بنيَّ اذا اعترى خطبٌ ولا تتفرَّقوا آحادا
تأبى القداحُ اذا اجتمعنَ تكسُّرًا واذا افترقنَ تكسرت أفرادا

ومن صبت نفسهُ الى تبوُّء منابر الخطابة كانت قراءة تراجم الخطباء نورًا يهديهِ سواء السبيل الى احكام هذه الصناعة التي تصل بالناس الى أمد لا يصل اليهِ السيف فيقرأ ترجمة الامام علي بن ابي طالب والحجَّاج بن يوسف ولسان الدين بن الخطيب وغيرهم من اكابر خطباء العرب وترجمة هوميروس اليوناني وشيشرون الروماني وبوسيه وفنيلون من فحول خطباء الافرنج فتشتدُّ عزيمتهُ على قطع تلك العقبة الكؤود في طريق من يهوى شرف الوقوف في جمع كبير من الخلق يدفعهم بكلامهِ الى ما يريد فكأنهُ قائد ويردُّهم عما لا يريد وكأنهم جنود يذهبون الى حيث يذهب فيقدمون ويحجمون وفق اشارتهِ

واما من طُبع على تحرير النفس من عبوديَّة العادات واطلاقها من سجون التقليدات فأخبار من أبطلوا العادات الضائرة وكسروا قيودها الثقيلة وذكر ما لقوا من المقاومة دون استئصالها تهوّن على الفطن الابي النهوض على العادات المتملكة في طباع اهل زمانهِ وتمزج ما يجد من المرارة في مناهضتها بحلاوة الامل في تخليص الناس من رقّها فلا يفتأُ ينازلها و يقاتلها حتى يلد التجلُّد لهُ انصارًا فيجعلها بما لأَتهم أثرًا بعد عين

فهذه النارجيلة كم اهلكت من مالٍ وأحدثت من داءٍ وأدخلت في عبودية فلو ان زيدًا تصدَّى لجمع ما انفقتهُ وما تنفقهُ سورية وحدها في سبيل النارجيلة لرأى امام عينيهِ جبل ذهب . ولو ان عمرًا عُني بعدِّ من مات بسبب النارجيلة مصدورًا لتمثل هلكاها جمعًا كثيفًا . وأما أنها أدخلت في العبودية فهؤلاء محتكروا التنباك لا يأتمرون في تسعيرهِ الاَّ اوامر الطمع

فيرفعون سعرهُ و يغلون ثمنهُ كما يشاؤُون حتى اصبح التنباك رطل بتسعين غرشاً وما من داعيةٍ لهذا الغلاء الذي دخل في باب الغلوّ الاَّ طمع المحتكرين . فلو أَن آفة سماوية ذهبت بنصف حاصلات التنباك ما تأَدَّى حبُّ الربح باصحابهِ وتجَّارهِ ان يبيعوهُ رطلاً بتسعين غرشاً . وكذا لو تضاعف عدد المتسلين بالنارجيلة اللاثمين أَفواه تلك الافاعي الفارغة ما غلا التنباك هذا الغلاء ولا انتهي ثمنهُ الى هذا الحدّ البعيد حتي عاد ذوو المال الجمّ والدخل المضارع اليم يئنون من هذا الغلاء بل يتأَوهون من هذا البلاء . و يتبرَّمون بهذا الرقّ بل يتأَلمون منهُ . على انهُ انما انجرَّ اليهم بما تعوَّدوهُ من لثم أَفواه تلك الافاعي . فهل من سلطة تجور على الانسان وتسومهُ ذلَّ العبوديَّة اشدّ من سلطة العادة السيئة التي تمكّنت منهُ بل التي يبلغ من جهلهِ بمصلحتهِ ان يجعلها بقوة الاستمرار من مقوّمات وجودهِ او خاصَّات كيانهِ فأَين المنادون بالحريَّةِ بل أَين دعاتها والمفاخرون بها وما بالهم لا يزمعون الانتصار لها ولا تأَخذهم الأَنفة للذود عن حياضها . اليس في وسعهم ان يهجروا النارجيلة يدَ الدهر فيتخلصوا من تكاليفها ومشاقها وينجوا من آفاتها وويلاتها

ليت شعري من ذا الذي يلزمهم بها او يكرههم عليها وكأَني اسمع لسان أُولي النارجيلة وانا اكتب هذا السؤال يقول مجاوباً انما تكرهنا عليها يا صاح سلطة قاهرة وقوة قاسرة بسلطة تذلّ لها الجبابرة . وتعنو لها الاكاسرة . هي سلطة العادة وقوَّتها وان الصعلوك منَّا ليعد نفسهُ ملكاً عزيزاً وقد تناول بيدهِ تلك الافعي واخذ يقبل فاها عقب القهوة معتقداً ان في يده صولجاناً . وكم من فقيرةٍ تقول " اقعد بلا اكل ولا اقعد بلا اركيلة " وكم من مصدور يقول " الموت ولا فراق النربيج " فان كان في نيتك حمل الناس على هجر تلك الغادة الحسناء الجامعة بين النار والماء فكأنما قد سمت نفسك ان تجفف البحر او تكسف الشمس . واين قوَّتك مما تحاول ولعلَّ الذي جرَّأَك على ذلك انك لم تذق لذَّة النارجيلة التي لا احلي منها عند الصباح والاصيل وبعد الطعام ولا سيما في البساتين عند نفحة الربيع وهبوب النسيم العليل وما أَحراك ان تتذكَّر قول الشاعر

> دع عنك تعنيفي وذُقْ طعم الهوى فاذا عشقتَ فبعد ذلك عنفِ

نعم اني لواثق كما علمتَ من كلامي بأَن ذوي النارجيلة هم فوق ما تقول أَلا وقد ملكتهم قوة العادة . وكفَّت عيون بصائرهم واصبحوا عمياناً لا يهتدون طريق مصلحتهم . ولا يفرِّقون بين النافع والضارّ لكن حسن النظر في سوء المصير قد رفع الغشاوة عن بصائر بعض من مشاهير المولعين كانوا بالنارجيلة ففطموا انفسهم عنها واستعاضوا من الهزال سمناً ومن الشحوب نضارةً

فقد تمتع الكهول منهم بعد مقاطعة النارجيلة من العافية ونضارة الصحة بما لم يتمتعوا بهِ في شبابهم . ومن الجدير بالذكر في هذا المقام ترفُّع الشوابّ من عذارى ومتزوّجات عن الخضوع لهذه العادة الضارَّة . واحقهنَّ بالذكر وجيهةٌ بيروتية أُوصلتها قوة النفس الى ان حررت بيتها من عبودية النارجيلة فأَحْرِ بوجهاء الناس ان يتفقوا و يحرّروا انفسهم و بيوتهم من هذا الرق فيتبعهم العوام وتستريح الآذان حينئذٍ من اصوات الشكوى من قساوة المحتكرين وليدعوهم يرفعون سعر التنباك ما شاؤُوا ولسان الحال ينشدهم "ونراهُ ارخص ما يكون اذا غلا" اقول وما حصول هذا بالامر المستحيل وان كان دون الوصول اليهِ مجاهدة الطباع الخاضعة لسلطة العادة. فوربك لو لم يكن بازاء الصدود عن النارجيلة والسيكارة الا لذّة التخلص من استبداد المحتكرين لكفى بهِ كفيلاً بالمبادرة الى اتفاق الخواص والعوام على تركها والاعراض عنها. هذا وليعلم من يقدمون على استئصال هذه العادة ان اقلام الاخبار يين والمؤرخين تنشر الثناء عليهم وتبثُّ مدائحهم وتخلد ذكرهم حتى يظفروا بمجد اعاظم الرجال احياءً وامواتًا

سعيد الخوري الشرتوني

عمران دمشق

« معابدها والجامع الاموي »

يرى المتفلسف في عمران المشرق ان اهلهُ قلما يحفلون بتنميق المباني العامة وتزويقها الاَّ ما كان منها تحت اسم الدين كالمعابد والمساجد والتكايا والزوايا وان تكن الديانة الاسلامية مثلاً لا تجيز الزخارف ولا تبيح اقامة مساجد تشغل ذهن الداخل اليها عن العبادة الحقَّة التي يُراد بها حضور القلب والخضوع والخشوع ولذا عُدَّ من مُحْدَثات البدع رواءُ صنعة بناء المساجد والاسراف في الانفاق عليها وتعدُّدها لغير حاجة ماسة . فقد كان في المدينة صدر الاسلام مسجد جامع واحد فلو فُرض ان دمشق مع كثرة سكانها وما يجيء اليها كلَّ جمعة من سكان القرى يزيد عشرة اضعاف سكان المدينة كان الاحرى ان يكتفى بعشرة مساجد جامعة ولكن هي الاسماءُ عليها يتهالك الاقوام حَرِصين وفيها يتنافس البشر غير مأمورين

ومن ثمَّ لا تسل عن اهلِ الاديان اذا خرب لهم مسجد او حرقت زاوية فقد تقوم قيامتهم كانما تقوَّض الدين برمتهِ او أُخذ المُلك بأمتهِ فيتسابق خاصتهم قبل عامتهم الى إعادة ما دثر

وتجديد ما بلي اذ يُخيل لهم ان مجد الامم متوقف علي إظهار شعائر دياناتها وعلى نسبة معابدها يرضى عنها صديقها ويخافها عدوّها

مرّت القرون ودمشق بفضل ما تقدم من الدواعي محتفظة بكيان معابدها لم تُصب بما أُصيب بهِ سائر الآثار من الهدّ والهدم . ولابن عبد الهادي رسالة كتبها في اواخر القرن التاسع اتى فيها على ذكر القسم الاعظم من مساجد دمشق فكانت زهاء الف مسجد . هذا ولم يستقصِ اسماء كثير من المساجد في هذه الحاضرة وضاحيتها مما يناهز خمسمائة قال فناهيك ببلدة يحتوي واديها فقط على زهاء الف وخمسمائة مسجد واما ما هو محيط بعاملتها مما وراء جبالها فهو كثير للغاية

اخنى الدهر على معظم هذه المساجد الآن اما لنزوح السكان من جوارها او لتعطُّل اوقافها فضاعت الفائدة التي بُنيت لاجلها مع ان العقل والشرع يقضيان ببيع المساجد والاستعاضة عنها بمكان آخر فيما اذا قلَّ الانتفاع بها او دعت الضرورة لازالتها وما برح الناس ذهاباً مع الاهواء ودفاعاً عن الاسماء يفضلون بقاء القديم على قدمهِ كما هو الحال بعدة جوامع في حارتي النصارى واليهود وغيرهما بدمشق وخيرٌ لجامع ان يباع وتبنى بثمنهِ مدرسة من ان يخرب ويمسي مستودعاً للنجس والرجس . وكم من مصلًّى بلا منارة ومنارة بلا مصلًّى . ولطالما استفتي الفقهاء بهذا الشأن فراعى فريق الرأي العام في فتوياهُ وحكم آخر بالحق فشفه رأيهُ كما جرى لَمَّا أُريد بناء المأذنة الملتصقة بالبيعة المريمية في القرن الحادي عشر

في دمشق اليوم ٢٤١ مسجداً وكان بها خمس عشرة كنيسة لاهل الذمة صولحوا عليها كما نُقل عن عمر بن عبد العزيز وذُكر في تاريخ دمشق . وقد عُدّت في العهد الذي اعطاهُ خالد بن الوليد اهل دمشق يوم فتحها . اما عدد الكنائس الآن فسبع عشرة كنيسة لطوائف مختلفة ولليهود كنائس عديدة يكاد يكون لكل غنيّ منهم كنيس خاص في دارهِ والاماكن المشهورة بذلك تربي على عشرة

رأس معابد دمشق ورئيسها وثالث جامع في الاسلام الجامع الاموي المشهور في كل العصور الذي يباهي بهِ اهل هذه الحاضرة غيرهم من سكان البلدان و يعدونهُ من مفاخرهم ومآثرهم اخذاً بكلام الوليد في قولهِ لقد رأيتكم يا اهل دمشق تفتخرون علي الناس باربع خصال بمائكم وهوائكم وفاكهتكم وحماماتكم فاحببت ان يكون مسجدكم الخامس

شرع الوليد في بنائهِ سنة ٨٧ وفُرش بالرخام الابيض المختم بالازرق وحُلي سقفهُ وجدرانهُ بفصوص الذهب المعروفة بالفسيفساء خُلط بها من غريب الاصبغة ما يدهش الابصار بوميضهِ

و بصيصهِ واحتفل من وراء الغاية بتنميقهِ وتنجيدهِ

هذا المسجد عريق في القدم اصيل في اقامة الشعائر الدينية اتى عليهِ كما روى بعض المؤرخين ردح من الزمن وهو لمؤسسيهِ الصابئة يصلون فيهِ ثم صار في ايدي اليونانيين ثم لليهود وملوك من عبدة الاوثان ثم للنصارى ثم للمسلمين . قال سيد يليو ان مسجد قرطبة بُني على شكل مسجد دمشق كما ان مساجد الشام وفلسطين ومصر مبنيَّة على شكل الكنائس التي قال المؤرخ اوزيبوس احد اهالي قيصرية في سيرة السلطان قسطنطين انها ذوات احواش واواوين وفساقي ومساكن للقسس بدليل ان في تلك المساجد ما كان يضعهُ البناؤُون من الخافقي المزوَّق باشكال من حصنا منوَّع الالوان . ولعلَّ ما هو شائع على الالسنة من ان في هذا الجامع رأس يحيى بن زكريا عليهما السلام جاء من تسمية المسيحيين لهُ باسم احد قديسيهم يوحنا الدمشقي تبركاً والاَّ فليس في التاريخ ادنى اشارة الى ان يحيي قُتل في دمشق او بيروت او صيداء او نُقل الى احدى هذه المدن

ولما فتحت دمشق كتب عمر الى عاملهِ ابي عُبَيْدة كتاب امان واقرَّ ما بايدي النصارى اربع عشرة كنيسة واخذ منهم نصف هذه الكنيسة التي كانوا يسمونها كنيسة مار يوحنا بحكم ان البلد فتحهُ خالد بن الوليد من الباب الشرقي بالسيف واخذت النصارى الامان من ابي عبيدة وهو على باب الجابية بالصلح فاختلفوا ثم اتفقوا على ان جعلوا نصف البلد صلحاً ونصفها عنوة فاخذ المسلمون نصف هذه الكنيسة الشرقي فجعلهُ ابو عبيدة مسجداً وكانت قد صارت اليهِ امارة الشام وكان المسلمون والنصارى يدخلون من باب واحد وهو باب المعبد الاصلي في القبلة فينصرف النصارى الى جهة الغرب والمسلمون الى الشرق وكان لا يستطيع اهل الانجيل ان يجهروا في قراءتهِ بكنائسهم ولا يضربوا بنافوسهم اجلالاً للصحابة فلما اخذت اصواتهم ترفع في صلواتهم احب الوليد ان يبعدهم عن المسلمين وطفق يجتهد في استصفاء المعبد كلهِ

روى ابن عساكر ان المغيرة بن عبد الملك دخل يوماً على الوليد بن عبد الملك ابن مروان فرآهُ مغموماً فقال لهُ يا امير المؤمنين ما سبيلك قال فاعرض عنهُ ثم انهُ عاودهُ فقال يا مغيرة ان المسلمين قد كثروا وقد ضاق بهم المسجد وقد بعثت الى هؤُلاء النصارى اصحاب هذه الكنيسة لندخلها الى المسجد فابوا علينا وقد اقطعتهم قطائع كثيرة وبذلت لهم مالاً فامتنعوا. فقال لهُ المغيرة يا امير المؤمنين لا تغتمَّ قد دخل خالد بن الوليد الى دمشق من الباب الشرقي بالسيف ودخل ابو عبيدة بن الجراح من باب الجابية بالامان فماسحهم الى ايّ موضع بلغ

السيف فان يكن لنا فيهِ حق اخذناهُ وان لم يكن لنا فيهِ حق داريناهم حتى نأْخذ باقي الكنيسة فندخلهُ في الجامع. فقال لهُ فرّجت عني فتولَّى انت ذلك . قال فتولاهُ فبلغت المسحة الى سوق الرَّيحانِ حتى حاذى من القنطرة الكبيرة اربعة اذرع و كسِّر بالذراع الفارسي فاذا باقي الكنيسة قد دخل في المسجد فبعث اليهم فقال هذا حق قد جعلهُ الله عزَّ وجلَّ لنا لم يصل المسلمون اليهِ في غصب ولا ظلم فقالوا يا امير المؤْمنين قد اقطعتنا اربع كنائس وبذلت لنا من المال كذا وكذا فان رأَيت ان تتفضل بهِ علينا. فامتنع حتى سأَلوهُ وطلبوا اليهِ قال فاعطاهم كنيسة حمدين (لعلها حمديس) و كنيسة اخرى جنب سوق الخبز و كنيسة مريم و كنيسة المصلبة

ثم ان الوليد بعث الى المسلمين حتى اجتمعوا لهدم الكنيسة واجتمع النصارى فقال للوليد بعض الاقساء والفأْس على كتفهِ وعليهِ قباءٌ سفرجلي وقد شدَّ بدور قبائهِ اني اخاف عليك من الشاهد يا امير المؤْمنين قال ويلك ما اضع فاسي الاَّ في رأْس الشاهد وهي صورة في اعلى الكنيسة ثم انهُ صعد فكان الوليد اولَّ من وضع فأْسهُ في هدم الكنيسة وسارع الناس في هدمها و كبَّروا ثلاث تكبيرات

قيل ان اثني عشر الف مرخم اشتغلوا في ترخيم الاموي وان الوليد احتاج الى صناع كثيرة فكتب الى ملك الرومان ان وجّهِ اليَّ بمائتي صانع من بلادك فاني أُريد ان ابني مسجداً لم يبنِ من مضى قبلي ولا من يكون بعدي مثلهُ فان انت لم تفعل غزوتك بالجيوش واخربت الكنائس في بلدك و كنيسة بيت المقدس وكنيسة الرها و كنيسة السيدة وسائر آثار الروم في بلدي. فاراد ملك الروم ان يثنيهُ عن بنائهِ و يضعف عزمهُ فكتب اليهِ لئن كان ابوك فهمها فاغفلها فانها لوصمة عليهِ ولئن كنت فهمتها وغيَّبت عن ابيك فانها لوصمة عليك وانا موجهٌ اليك ما سأَلتهُ فاراد ان يعمل لهُ جواباً فجلس لهُ عقلاءُ الرجال في خطبة المسجد يفكرون في ذلك فدخل عليهم الفرزدق فقال ما بال الناس اراهم مجتمعين حلقاً فقيل لهُ السبب فقال يا أمير المؤْمنين انت جعلت اخاك سليمان القائم بامر العمارة والجواب بنص القرآن ففهمناها سليمان وكلاًّ آتينا حكماً وعلماً . فسرّي بذلك عنهم

ولما عمر الوليد الجامع قال لهُ بكر اولادهِ يا ابتِ انعبتَ مَن يأْتي بعدك في طين اسطحتهِ فقال يا بنيَّ نرصفهُ فطلب الرصاص من سائر الآفاق فكل اتى بما عندهُ واتت كورة الاردن اكثرهم في ذلك وطلبوا الرصاص بكل ممكن حتى في النواويس العادية فلما نفدت مظانهُ حار الوليد في صيور امرهِ فدُلَّ على امرأَة من بنات اكابر دمشق ان عندها من الرصاص ما يكفي القطعة الباقية فارسل الوليد اليها يسأَلها بيعهُ فابت فاضعف لها ثمنهُ فابت فاعطوها عوضهُ

قصديرًا ثم حديدًا ثم فولاذًا ثم نحاسًا وما زالت تتأبى فقال لهُ ولدهُ اكملهُ بفضة فقال يا بنيَّ بعدنا تؤخذ الفضة وننسب الى العجز عن اكمالهِ فقال اعطوها زنتهُ ذهبًا فرضيت وباعتهُ فلما اتمهُ ارسلت المرأة اليهِ المال وقالت ليعلم امير المؤمنين اسعدهُ الله انني خرجت عن هذا الرصاص لله تعالى وانما تمسكت على امير المؤمنين حتى اعلم امرهُ هل يأخذ ذلك مني غصبًا ويقهرني عليهِ ام اجتهادهُ لله تعالى يوصلني الى ما اريد في ثمنهِ وقد علمت ان همتهُ ومرادهُ رضا الله ورسولهِ . فلما وصل المال والقاصد الى الوليد عجب من ذلك وسأل هل هي عازبة ام متزوجة فقيل بل عازبة فتزوجها وعمرت بالمال المنارة التي على باب السلسلة ورصعتها بالمعادن فسميت مأذنة العروس . رواها ابن عساكر وتابعهُ عليها غير واحدٍ من المؤرخين

وبالغ مؤرخو العرب في كثرة ما أُنفق على الجامع الاموي وما اظن ما قالوهُ من الواقع ببعيد فعن عمر بن مهاجر وكان على بيت المال للوليد بن عبد الملك انهم حسبوا ما أُنفق على الكرمة التي في قبلة المسجد فكان سبعين الف دينار وحسبوا ما أُنفق عليهِ كلهِ فكان اربعمائة صندوق كل صندوق ثمانية وعشرون الف دينار . قال ابو قصي واتى الوليد حرسيُّهُ فقال يا امير المؤمنين ان اهل دمشق يتحدثون بانك انفقت الاموال في غير حقها فنادى الصلاة جامعة وخطب الناس فقال الا انهُ بلَّغني حرسي انكم تقولون ان الوليد انفق المال في غير حقها الا يا عمر بن مهاجر قم فاحضر ما قبلك من الاموال من بيت المال قال فاتت البغال تدخل بالمال وتصبُّ في القبة على الانطاع حتى لم يُبصر من بالشمال من في القبلة ولا من في القبلة من في الشمال ونصبت الموازين فوزنت الاموال فقال لصاحب الديوان احضر من قبلك ممن يأخذ رزقنا فوجدوا ثلثمائة الف الف في جميع الامصار وحسبوا ما يصيبهم فوجدوا عندهُ رزق ثلاث سنين ففرح الناس وكبَّروا

وكذلك بالغ السياح في وصف اعاجيبهِ بما يوهم ان ما قالوهُ اقرب الى الباطل منهُ الى الحق خصوصًا عند شرقيّ لم يزر بلاد الفرنجة لهذا العهد ولم يرَ غير بلادهِ المنحطة فقد روى ابن جبير المتوفى سنة ٦١٤ في وصفهِ ان طولهُ من الغرب الى الشرق مائتا خطوة وهي ثلثمائة ذراع وذرعهُ في السعة من القبلة الى الشمال مائة وخمس وثلاثون خطوة وهي مائتا ذراع وهو تكسير المسجد النبوي غير ان طولهُ من القبلة الى الشمال . وبلاطاتهُ المتصلة بالقبلة ثلاث مستطيلة من المشرق الى المغرب سعة كل بلاطة منها ثمان عشرة خطوة وقامت البلاطات على ثمانية وستين عمودًا منها ثمانية ارجل تتخللها واثنتان مرخمة ملصقة بالجدار الذي يلي الصخرة واربعة ارجل مرخمة ابدع ترخيم مرصعة بفصوص من الرخام ملونة قد نظمت خواتيم وصورت

محاريب واشكالاً غريبة قائمة في البلاط الوسط دور كل رجل منها اثنان وسبعون شبرًا و يستدير بالصحن بلاط من ثلاث جهاتهِ سعتهُ عشر خطًا وعدد قوائمهِ سبع وار بعون منها ار بعة عشر رجلاً والباقي سوارٍ وسقف الجامع كلهِ من خارج الواح رصاص واعظم ما فيهِ قبة الرصاص المتصلة بالمحراب وهي سامية في الهواء عظيمة الاستدارة وقد استقل بها هيكل عظيم هو عماد لها يتصل من المحراب الى الصحن والقبة قد اغصَّت الهواء فاذا استقبلتها رأَيت مرأى هائلاً ومن اي جهة استقبلت البلد ترى القبة في الهواء كانها معلقة في الجوّ وعدد شماساتها الزجاجية المذهبة

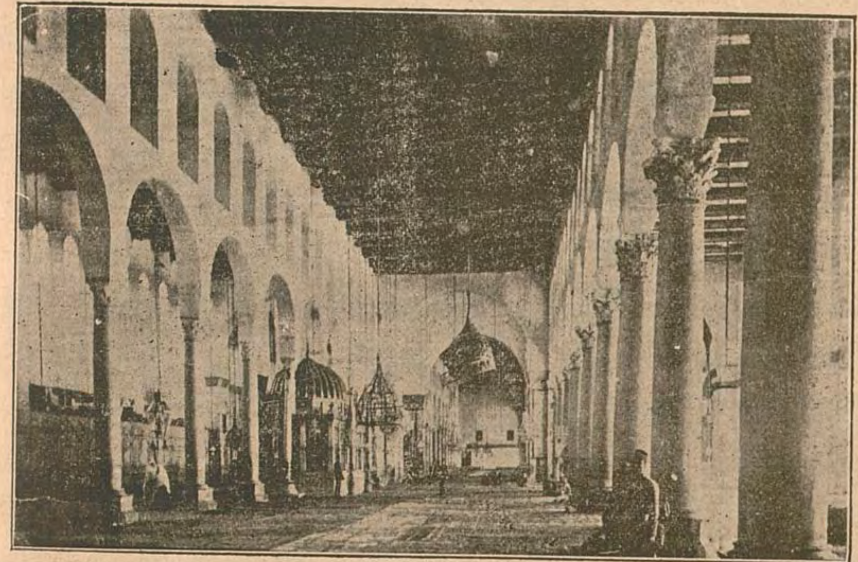

(فناء الجامع الاموي من الشرق الى الغرب)

الملونة اربع وسبعون فاذا قابلتها الشمس واتصل شعاعها بها انعكس الشعاع الى كل لون منها واتصل ذلك بالجدار القبلي ويتصل بالابصار منها اشعة ملوَّنة هائلة لا تبلغ العبارة تصوّرها

ومحرابهُ من اعجب المحاريب الاسلامية حسنًا وغرابة صنعة يتقد ذهبًا كلهُ قد قامت في وسطهِ محاريب صغار متصلة بجدارهِ تحفهُ سو يريات مفتولات فتل الاسورة فانها مخروطة بعضها احمر كأَنها مرجان لم يرَ شيءٌ اجمل منها وفيها ثلاث مقاصير مقصورة معاوية وهي اول مقصورة وضعت في الاسلام . ثم ذكر في فناء الجامع عجائب من الاقبية والابنية والصوامع الثلاث والمياه المدبرة فيهِ ما يطول وصفهُ . وللمسجد اربعة ابواب باب قبلي يعرف بباب الزيادة وباب شمالي ويُعرف بباب الناطمين — الناطقين — وباب غربي يعرف بباب البريد وباب شرقي

يعرف بباب جيرون وهو اعظمها ولهُ وللغربي دهاليز متسعة يُفضي كل دهليز منها الى باب عظيم كانت كلها مداخل للكنيسة فبقيت على حالها

قال وعن يمين الخارج من باب جيرون في جدار البلاط الذي امامهُ شبهُ غرفة بها هيئة طاق كبير مستدير فيهِ طيقان من صفر وقد فتحت ابواباً صغاراً على عدد ساعات النهار ودبرت تدبيراً هندسياً فعند انقضاء ساعة من النهار تسقط صنجتان من صفر من فمي بازيين من صفر قائمين على طاستين من صفر مثقوبتين فتبصر البازيين يمدان عنقيهما للصنجتين الى الطاستين ويقذفانهما بسرعة بتدبير عجيب تتخيلهُ الاوهام سحراً فعند وقوعهما يسمع لهما دوي فيعودان من الاثقاب الى داخل الجدار الى الغرفة وينغلق الباب تلك الساعة بلوح اصفر فلا يزال كذلك حتى تنقضي الساعات فتنغلق الابواب كلها ثم تعود الى حالاتها الاول ولها بالليل تدبير آخر وذلك ان في القوس المنعطف على الطيقان المذكورة اثنتي عشرة دائرة من النحاس مخرّمة في كل دائرة زجاجة وخلف الزجاجة مصباح يدور بهِ الماء على ترتيب مقدار الساعة فاذا انقضت عمَّ الزجاجة ضوء المصباح وافاض على الدائرة شعاعاً فلاحت دائرة مجمرة ثم ينتقل الى الاخرى حتى تنقضي ساعات الليل . وقد وكل بها من يدبّر شأنها فيعيد فتح الابواب و يسرح الصنج الى موضعهِ وهي التي تسمى الميقاتة

وروى ابن عساكر ان المسلمين لما دخلوا دمشق وقت فتحها كان اسم باب الجامع القبلي باب الساعات لانهُ كان هناك ساعات يُعلم بها ما يمضي من النهار عليها صور عصافير وحية وغراب فاذا تمت الساعة خرجت الحية وصاحت العصافير وصاح الغراب وسقطت حصاة في الطشت . وانهُ كان في الجامع قبل حريقهِ طلسمات لسائر الحشرات معلقة في السقف فوق البطاين فلما احترقت الطلسمات وجدت وكان في السقف طلاسم عملتها الحكماء مما يلي الحائط القبلي فمنها طلسم للسنونو لا تدخلهُ ولا تعشش فيهِ ومنها لا يدخلهُ غراب ولا فار ولا حيات ولا عقارب ولا عنكبوت ولا يركبهُ غبار ولا وسخ ولا غير ذلك

وعلى اثر هذه الساعات وهذه الطلاسم يجدر ذكر البسيط الذي اقامهُ الفلكي الشهير ابن الشاطر المتوفي سنة ٧٧٧ موقت هذا الجامع والبسيط اختراعهُ قديم ينسب لليونان الاَّ ان العرب زادوا عليهِ كثيراً وهو عبارة عن حجر مستطيل تعرف فيهِ بخطوطٍ واشكال الشمس في اي برج هي وفي اي درجة من ذلك البرج و يُعرف فيهِ الماضي من الشمس والباقي للزوال والماضي من الزوال ايضاً والباقي للغروب ويقال لهُ الدائر وفضل الدائر والماضي من طلوع الفجر ويعلم منهُ قوس العصر والباقي لمغيب الشفق والباقي الى الفجر الآتي وهذا الذي زادهُ الاستاذ

محمد الطنطاوي على ابن الشاطر ورسم فيهِ شكلاً معيناً تُعلم منهُ الطالع والمطالع

تقادم العهد على بسيط ابن الشاطر فوقع فيهِ بعض فروق في الاوقات فطلب متولي الجامع وغيرهُ من العلماء الى الشيخ الطنطاوي سنة ١٢٩٤ ان يصلح ما وقع فيهِ فاصلحهُ فلما ارادوا وضعهُ في مكانهِ وقع الحجر وانشق شطرين فنسبوا ذلك الى الشيخ لحضور احد تلامذتهِ اذ ذاك فاضطر الشيخ ان يبرئ نفسهُ وراح الى دارهِ يصرف حولين كاملين ليعمل بسيطاً يحاكي بهِ بسيط ابن الشاطر فعملهُ على قلة الكتب لديهِ وفقدان ملكة هذا الفن لكن معاصريهِ والمعاصرة كما قيل حرمان ابوا الاَّ ان يتنقَّصوهُ ويضيعوا اتعابهُ شأْنهم مع غيرهِ من رجال الجدّ فاشاعوا بين العامة ان بسيطهُ لا يصلح للتوقيت وها هو الآن ملقى في منارة العروس يكاد لا يُنظر اليهِ يرقب الزمن ليظهر ويعمل بهِ ويقدر فضل صاحبهِ . وقد عمل ايضاً بسيطاً ثانياً على الافق المرئي وضعهُ في جامع الدقاق بالميدان قرب باب دمشق الجنوبي

ولا عجب اذا لقي الطنطاوي ما لقي واصبح غير مقدور قدرهُ فقد امتحن ابن الشاطر في القرن الثامن بمثل ما امتحن بهِ ولم تعرف له فضيلتهُ الاَّ بعد موتهِ باعوام دمشق غامطةٌ حقهُ وآثارهُ تنشر في البلاد ولسان حالهِ يقول

لا عيب لي غير اني من دياركم   وزامر الحيّ لا تُطرب مزامرهُ

نقل صاحب محاسن الشام ان ارض الجامع كانت مفروشة بالفصوص المزمكة بالذهب المسماة بالفسيفساء وان الرخام كان في جدرانهِ سبع وزرات ومن فوقهِ صفات البلاد وما فيها من العجائب وان الكعبة المشرَّفة وضع صفاتها فوق المحراب ثم فوق البلاد يميناً وشمالاً وما فيها من الاشجار المثمرة والمزهرة وغير ذلك وجعل سلاسل المصابيح من نحاس محلى بالذهب ورتب لهُ من الشموع ما يوقد منهُ في اماكن مختصة واصطنع في صحنهِ مجامر على اعمدة برسم البخور ووكل بذلك خدمة لا يفترون ليلاً ولا نهاراً حتى كان يشم روائح البخور مسيرة فرسخين (كذا) وسبك لهُ سرجاً من نحاس كل سراج يوضع فيهِ قنطار زيت وجعل على كل باب سراجاً وجعل في محراب الصحابة حجراً من بلور وقيل بل درة لا قيمة لها وكانت اذا أُطفئت المصابيح يقوم نورها مكانها (كذا) وان الامين بن الرشيد ارسل الى صاحب دمشق ان يسيرها اليهِ فارسلها وقيل انهُ لما رآها أمر بردّها قال ابن عساكر ثم ذهبت الايام بعد ذلك وجعل مكانهُ برنية من رخام وقد رأيتها ثم انكسرت بعد مدة فلم يوضع مكانها شيء

وروى شيخ الربوة انهُ كان يحمل من زيت نابلس الى جامع بني امية في كل سنة الف قنطار بالدمشقي وقال ايضاً انهُ يوقد فيهِ ليلة النصف من شعبان اثنا عشر الف قنديل بخمسين

قنطارًا من الزيت غير ما يوقد بالمدارس والمساجد والترب والخوانق والربط والمارستانات ٠ وذكر ابن بطوطة ان فوائد مستغلات الجامع ومجابيهِ نحو خمسة وعشرين الف دينار ذهبًا في كل سنة وذكر ايضًا انهُ كان بهذا الجامع حلقات التدريس في فنون العلم والمحدثون يقرأُون كتب الحديث على كراسي مرتفعة وقراء القرآن يقرأُون بالاصوات الحسنة صباحًا ومساء وبهِ جماعة من المعلمين لكتاب الله يستند كل واحد منهم الى سارية من سواري المسجد يلقن الصبيان ويقرئهم وهم لا يكتبون القرآن في الالواح تنزيهًا لهُ وانما يأخذونهُ تلقينًا ومعلم الخط غير معلم القرآن

هذا اصل الجامع وبعض ما كان فيهِ من العجائب وفي تواريخ دمشق ان النصارى رفعوا الى عمر بن عبد العزيز في خلافتهِ ما بيدهم من عهد ابي عبيدة الجراح من ان كنائسهم لا تهدم ولا تسكن وان الوليد اخذ كنيستهم بغير حق قهرًا فلما رأى عمر ذاك منهم دفع لهم مالاً يرضيهم بهِ حتى بلغ مائة الف فابوا فكتب عمر الى محمد بن سويد الفهري ان يدفع اليهم كنيستهم او يرضيهم في ذلك فلما وصل كتاب عمر الى دمشق اعظم الناس ذلك وفيهم يومئذٍ بقية من اهل الفقهِ فشاورهم محمد بن سويد فقالوا هذا امر عظيم ندفع اليهم مسجدنا وقد اذنَّا فيهِ بالصلاة وجمعنا فيهِ يهدم ويعاد كنيسة فقال رجل منهم هنا مسئلة لهم كنائس عظام حول مدينتنا وهي دير مران والكنيسة بباب توما وغيرها من الكنائس ان احبوا ان نعطيهم كنيستهم فلا يبقوا حول مدينة دمشق ولا بالغوطة كنيسة الاَّ هدمت او نبقي لهم جميع كنائسهم ويتركوا هذه ونسجل لهم بذلك سجلاً فدعاهم محمد بن سويد وعرض عليهم ذلك فقالوا امهلونا ننظر في امرنا فتركهم ثلاثًا وطالبهم فقالوا نحن نأخذ الذي عرضتهُ علينا ونكتب الى الخليفة اننا قد رضينا بذلك ويسجل لنا الخليفة من قبلهِ سجلاً منشورًا بامان على ما بدمشق والغوطة من كنيسة ان تهدم او تسكن قالوا نعم فكتب الى عمر بن عبد العزيز بذلك فسرَّهُ وسجل لهم بذلك واشهد شهودًا

روى ابن عساكر عن محمد بن مهاجر قال سمعت عُمر بن عبد العزيز ذكر مسجد دمشق فقال رأيت اموالاً أُنفقت في غير محلها فانا مستدرك ما استدركت منها فرادُّهُ الى بيت المال اعمد الى هذه الفسيفساء وهو النقش المفصص والرخام فاقلعهُ وانزع تلك السلاسل واجعل مكانها حبالاً وانزع تلك البطاين فابيع جميع ذلك وادخلهُ بيت المال فبلغ اهل دمشق فاشتد عليهم فخرج اليهِ اشرافهم فيهم خالد العشري فقال لهم خالد ائذنوا لي حتى اكون انا المتكلم فاذنوا لهُ فلما اتوا دير سمعان (مصيف عمر بن عبد العزيز قرب مدينة حمص وبهِ قبرهُ معروف

الى الآن) استأذنوا على عمر فاذن لهم فلما دخلوا سلموا عليهِ فقال لهُ خالد يا امير المؤمنين بلغنا انك هممت في مسجدنا بكذا وكذا قال نعم فقال لهُ والله ما ذلك لك يا امير المؤمنين فقال عمر لمن هو لأُمك الكافرة وغضب عمر ثم قال صدقت فما قولك ما ذاك لي قال لانا كنا معشر اهل الشام واخواننا من اهل مصر واخواننا من اهل العراق نغزو ففرض الرجل منا على نفسهِ ان يحمل من ارض الروم قفيزاً بالصغير من فسيفساء وهي الفصوص او ذراع في ذراع من رخام فحملهُ اهل العراق واهل حلب الى حلب ونستأجر على ما حملوا الى دمشق وتحمل اهل دمشق وما وراءهم الى دمشق فذاك قولي ما ذاك لك فسكت عمر

قال ثم جاءهُ بريديٌّ من والي مصر يخبرهُ ان قارباً ورد عليهِ من رومية فيهِ عشرة من الروم عليهم رجل مقدم يريدون الوفود الى امير المؤمنين فكتب اليهِ ان وجههم اليَّ ووجه معهم عشرة من المسلمين عليهم رجل مقدم كلهم يحسن الرومية ولا تعلموهم بذلك حتى يحملوا اليَّ كلامهم فساروا حتى نزلوا دمشق خارج باب البريد فسأل الروم رئيس العشرة من المسلمين ان يستأذن لهم في دخول المسجد الجامع فاذن لهم فمروا في الصحن حتى دخلوا من الباب الذي يواجهُ القبلة فكان اول ما استقبلوا المقام ثم رفعوا رؤُوسهم الى القبة فخر رئيسهم مغشياً عليهِ فحمل الى منزلهِ فاقام ما شاء الله ان يقيم ثم افاق فقالوا لهُ بالرومية ما قصتك صحبتنا في طريقنا هذه ما انكرنا منك شيئاً فما الذي عرض لك حين دخلت هذا المسجد فقال لانَّا معشر اهل رومية نتحدث ان بقاء العرب قليل فلما رأَيت ما بنوا علمت ان لهم مدة سيبلغونها فلذلك اصابني الذي رأَيتم فلما قدموا على عمر اخبروهُ بما سمعوا منهُ فقال عمر اذا كان مسجد دمشق غيظاً على الكفار دعوهُ على حالهِ

وظلَّ الجامع قروناً زاهياً زاهراً الى ان احترق الحريق الاول سنة ٤٦١ وبها ذهبت محاسنهُ وانقضت ايام ازدهائهِ وعجائبهِ . وثانيهِ سنة ٧٤٠ كان الاصل فيهِ من النصارى بدمشق كما قال ابن مفلح واشتهر ذلك عنهم وكتب عليهم محضر بهِ وضُربت اعناقهم ثم حرقوا بالنار وزاد صاحب محاسن الشام ان مأذنة عيسى نُقضت وجُددت من اموال النصارى لكونهم اتهموا بحريقها باقرار بعضهم واقيمت على احسن الاشكال وهذا الحريق عمَّ جميع الجامع وما حولهُ من الدهستاني والرواقات الشرقية والمباني الشرقية وذهبت اموال الناس . وثالث حريق احرق الدهستان وسوق الوراقين والساعات ونصف المعزبة من شرقي الجامع الى بيت المقصورة سنة ٧٩٥ ايام الظاهر برقوق ثم اعيد الى ما كان عليهِ . ورابع حريق جرى سنة ٨٠٣ عند حضور تيمور لنك حرق جميعهُ واحترق المصحف العثماني الموضوع بالمقصورة وجميع ما كان بهِ من

مصاحف وربعات وكتب علم وغيرها. واستمر الجامع خراباً الى ولاية شيخ الخاصكي نيابة الشام في شهور سنة ٨٠٥ فشرع في عمارتهِ واعيد الى قريب ما كان عليهِ وخامسها سنة ٨٨٤

ولم اعثر على تاريخ يدلُّ على خراب الجامع او حرقهِ بعد هذا التاريخ الاَّ ما كان من زلازل سنة ١١٧٣ فان قبة النسر والرواق الشمالي خربا اذ ذاك وأُعيد بناؤُهما من قابل ثم رمم في تواريخ عدة حتى اذا كانت سنة ١٣١٠ (ربيع الثاني) سرى النار الى رصاص سطوحهِ فالتهمها كلها في اقل من ثلاث ساعات ولم يتمكن من اطفائها لعلوّ السقوف وعدم وجود مضخات تفي بالمقصود فدثر آخر ما بقي من آثارهِ واثاثهِ ورياشهِ وبعض قطع الفسيفساء التي بقيت منذ قرون ولم تعمل بها الكوارث واخصُّ ما حرق بها مصحف كبير مكتوب بالخط الكوفي الجميل على رق الغزال كان يقال انهُ عثماني ومهما يكن من امرهِ فان عتقهُ يدلُّ على انهُ من المصاحف التي كتبت في الصدر الاول . وفقد هذا المصحف عند العقلاء اصعب من احتراق الجامع

وشرع من قابل باعادة بناء الجامع بمال جمع من اعانات الدماشقة بالتخجيل والتجبيهِ واحياناً بالترغيب والترهيب ومن سكان القرى المجاورة بالجبر والقهر كما هو الشأن في كل اعانة يُراد جمعها من الاهلين وما اكثر انواعها في هذه السنين . ولما رأوا ان هذا الامر يطول وهذه الهبات لا تعمر الجامع اخذوا منذ خمس سنين يتقاضون كل سنة مبلغ ٤٥٠٠ ليرة عثمانية من ضريبة اللحم التي كانت تستعين بها البلدية على اصلاح بعض الطرق والشوارع ولما خربت طرق المدينة نجز في العام الماضي بناء شطر الحرم الشرقي والهمة مبذولة لبناء الشطر الغربي وسينجز بعد سنة . وقد اعيد كل شيء الى حالهِ السابق

وكان القوم يذهبون الى ان ايجاد سوارٍ من الحجر كالسواري المحترقة من رابع المستحيلات الاَّ ان الامر جاء على عكس ما توهموا فان احد ارباب الصنائع الدماشقة ممن بلغ منزلة الاختراع فيها واسمهُ عبد الغني الحموي صنع عجلة كبيرة لجر الاثقال والاحجار وآلة لقطع الحجر فاحضرت السواري من مقاطع المزة وقطَنا احسن من القديمة

واتصل بي ان ما أُنفق وينفق على اعادة الجامع الى سابق رونقهِ يبلغ نحو اربعين الف ليرة أُخذت كما مرَّ بك من اموال لا تصلح لبناء المساجد في عقل ولا نقل . كنت يوماً اتحدث وصديقاً لي في امر هذا المسجد فقال لي تالله لو نُشر النووي وابن تيمية وابن الصلاح وغيرهم من علماء دمشق العاملين لافتوا بتحريم الصلاة فيهِ لما يرون من اتخاذ هذه الزخارف الباطلة بمال يجبى بغير حق وان الاسلام الذي جاء ليأْتي على الوثنية عاد الناس اليها في القرون المتأَخرة بل تجلت بابهى مظاهرها وتبرقعت ببرقع ديني واتسمت بعلائم القربى فقد صرف على المحراب فقط نحو سبعمائة ليرة

نعم دلَّ ذلك على ان في البلاد بقايا صنائع كالنحاتة والنجارة والنقش والترخيم الّا ان هذه العناية هي احرى بان تصرف على ما يجدي فائدة تحمد لاعلى ما يشبهُ التماثيل والهيا كل والنصب في محل التوحيد ولو اقتصر على الضروري من البناء لاقتصدت اموال طائلة كان يتأتى ان تشيد بها مدرسة يتخلص الناس بها من الجهالة الجهلاء ولكن المشارقة لا يعتقدون النفع فيقتتلون في نيلهِ الّا فيما كان منهُ تحت ستار الدين وباسم الآخرة

حقن الادوية في الاوردة

الطرق المعروفة حتى الآن التي تجتازها الادوية لتصل الى الدم خمسة وهي

اولاً طريق القناة الهضمية ولهُ مدخلان الفم والمستقيم فتجتاز الادوية المدخل الاول إما شربًا متى كانت سائلةً او ازدرادًا متى كانت جامدةً ولا تجتاز المدخل الثاني الّا سائلة حقنًا ومتى انتهت الادوية الى القناة الهضمية تمتصها هذه وتدخلها الدورة الدموية

ثانيًا طريق الجلد وذلك بان يُدلك الجلد بالمراهم والسوائل الدوائية اللزجة والصبغات وما شاكلها التي تلتصق بالجلد فيمتصها

ثالثًا طريق الجهاز التنفسي الذي تجتازهُ ابخرة بعض الادوية استنشاقًا كابخرة الزئبق مثلاً في علاج الزهري

رابعًا طريق النسيج الخلوي الجلدي

خامسًا طريق العضلات

وهذان الطريقان الاخيران تجتازهما الادوية سائلةً حقنًا فتمتصها الاوعية اللمفاوية التي تحت الجلد وفي العضلات وتحملها العصارة اللمفاوية الى القلب

وقد اهتدى الدكتور ابادي (Abadie) الرمدي الفرنساوي الشهير الى طريقٍ سادسٍ وهو طريق الاوردة الذي نريد الكلام عنهُ في مقالتنا هذه

فطن الدكتور ابادي منذ سنين الى امكان حقن محاليل الادوية في الاوردة غير انهُ ما زال محجمًا عن الاقدام على ذلك مترددًا خوفًا من سوء العاقبة حتى اتاهُ منذ اثنتي عشرة سنة مريضٌ مصابٌ بالتهابٍ قزحي زهري حادٍ يستدعي سرعة العلاج فكف عن احجامهِ وترددهِ ورأى ان يخرج ما في حيّز فكرهِ الى حيّز العمل وطهَّر حقنة برافاس وحقن في الوريد القاعدي بنصف ملئها من محلولٍ معقّمٍ من سيانور الزئبق بمعدل ١/١٠٠٠

فعل ذلك بيدٍ مرتجفةٍ خوفًا من عاقبةٍ وخيمةٍ غير ان المريض لم يشعر بألمٍ وقت الحقن ولم يُصَبْ بعدهُ بعرضٍ ما يدل على انزعاجٍ او اضطراب في دورتهِ فقوَّى ذلك عزيمة الدكتور ابادي وفي اليوم الثاني حقن المريض بنصف سنتمتر مكعب آخر من هذا المحلول وفي اليوم الثالث بدأت اعراض الالتهاب القزحي في الزوال فاستبشر الطبيب خيرًا وبعد يومين عاد فحقن المريض بسنتمتر مكعب من المحلول الزئبقي اي بضعفي ما حقنهُ بهِ اولاً وما زال يحقنهُ كل يومين بهذا القدر "سنتمتر مكعب" حتى زال الالتهاب القزحي تمامًا وشفي المريض

ومن ذاك الحين لم يعد الدكتور ابادي يتخذ طريقة أُخرى لعلاج الاعراض الزهرية في العين ولكنهُ لما رأى ان لا بدَّ من تعقيم حقنة برافاس قبل استعمالها للحقن في الاوردة ثم تطهيرها بغسلها جيدًا بمحلول السليماني بعد حقن كل مريض حتى يمكن ان يحقن بها كل المرضى المصابين بالزهري تباعًا ورأى ان ذلك يكلف بعض العناء لما في حقنة برافاس من المواد التي لا تنظف بسهولة كقطعة الجلد التي على اسفل الاسطوانة "البستون" ومن الزوايا التي لا يصلها محلول السليماني وقت التنظيف كالتي بين انبوبة الحقنة الزجاجية والمعدن المركب على طرفيها كلف احد معامل الزجاج بان يصنع لهُ حقنةً لا يدخل في تركيبها غير الزجاج . وبعد التجارب صنع لهُ حقنةً بسيطةً سهلة التطهير والتعقيم وهي المستعملة الآن للحقن في الاوردة

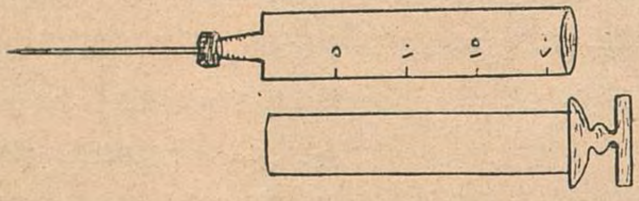

وهذه الحقنة مؤلفة من قطعتين فقط كما ترى في هذا الشكل احداهما انبوبة مدرَّجة سعتها سنتمتر مكعب او عشرون نقطة تنتهي عند فوهتها السفلى بمضيق تركب عليهِ الابرة والثانية اسطوانة من زجاج غير مصقول الجوانب تدخل الانبوبة باحكام كلي حتى لا يبقى بينهنَّ فراغ مطلقًا بحيث انهُ متى أُدخلت في الانبوبة حتى اخرها ثم سحبت احدثت فيها فراغًا ولهذه الاسطوانة الزجاجيَّة عند اعلاها قبضة تحرك بها

فبساطة تركيب هذه الحقنة من مادةٍ واحدة وهي الزجاج وعدم وجود تعاريج في جوانبها يجعلها سهلة التنظيف الى الدرجة القصوى الامر الذي لا بدَّ منهُ للحقن في الاوردة فمتى حُقِنَ بها مريضٌ يسهل ازالة الدم الذي يلوثها لانهُ لا بدَّ من دخول الدم من الوريد الى

الحقن كما سيجيء وتطيرها جيدًا بمحلول السليماني ٠٠ ١/١ وذلك بان تملأ وتفرّغ ثلاثًا من ذلك المحلول

اما الابرة التي تُركب على مضيق انبوبة الحقن فيلزم ان تكون من معدن البلاتين لكي لا تتلفها الحرارة لانهُ يجب احماؤُها على لهب الالكحول حتى درجة الاحمرار قبل ادخالها في الوريد

والمحلول الزئبقي الذي يحقن بهِ الدكتور ابادي مرضاهُ المصابين بالزهري مركب من

سيانور الزئبق	١ جرام
كلوريدرات الكوكاين	١/٢ "
ماء مقطَّر معقّم	١٠٠ "

فيحقن من هذا المحلول كل يومين ملء حقنة كاملة اي سنتمترًا مكعبًا للكبار ونصف حقنة اي نصف سنتمتر مكعب للاحداث ويمكن الاستغناء عن كلوريدرات الكوكاين المضاف الى المحلول الزئبقي كما قال لي الدكتور ابادي الأ اذا اريد حقن السائل في العضلات متى تعذر الحقن في الاوردة لسبب من الاسباب فلا بدَّ من اضافتهِ لان الكوكاين يذهب الالم الذي يعقب الحقن في العضلات في بعض الاحيان

كيفية الحقنة في الوريد — تطهر اولاً الحقن الزجاجية بغسل داخلها ثلاثًا بمحلول السليماني ٠٠ ١/١ ثم تملأُ بمحلول سيانور الزئبق ويغسل ذراع المريض الشمال عند مفصل المرفق حيث يظهر الوريدان القاعدي والرأسي غسلاً جيدًا اولاً بالماء والصابون ثم بمحلول السليماني ١٠٠٠/١ وبعد ذلك يكلف المريض بان يضغط بيدهِ اليمنى ذراعهُ اليسرى المراد الحقن فيها فوق مفصل المرفق وبان يطوي اصابع يدهِ اليسرى بعزمٍ على راحتها ليتعذَّر سير الدم في اوردة المرفق الايسر ويظهر الوريدان القاعدي والرأسي عند طية المفصل. واذا كان المريض مشحمًا ولا يكفي الضغط بيدهِ لاظهار الوريدين لا بدَّ من ربط ذراعهِ فوق المفصل برباط ضاغط من الكاوتشوك. وعند ما يظهر الوريدان جليًّا يأْخذ الطبيب الحقنة المملوءة بالسائل المراد حقنهُ وبعد ان يحمي ابرتها على لهب الالكحول حتى درجة الاحمرار يدفع الاسطوانة قليلاً والحقنة عامودية حتى يخرج من الابرة بعض قطرات من السائل ومن ذلك فائدتان اولاً طرد فقاقيع الهواء التي تتجمع عند اعلى السائل والحقنة عمودية ثانيًا تبريد الابرة بعد احمائها على اللهب ثم يضغط الطبيب بابهام يدهِ اليسرى احد الوريدين (والاوفق ان يختار الوحشي ليبتعد عن الشريان الذي تحت الوريد الانسي) تحت النقطة التي يريد ادخال ابرة الحقنة فيها وذلك ليثبت الوريد في مكانهِ فلا يزلق وقت ادخال الابرة تحت الجلد ولا يزلق الجلد عليهِ ثم يمسك الحقنة

بيدهِ اليمنى لا كما يمسك المشرط او قلم الكتابة بل يجعلها افقية بين اطراف اصابعهِ الاربع السبابة والوسطى والبنصر والخنصر من اسفل والابهام من اعلى لكي يتمكن من ادخال الابرة في الوريد افقياً على قدر الامكان لانها ان دخلتهُ عمودياً فكثيراً ما تخترقهُ وتدخل في النسيج الخلوي ثم يدخل الابرة برفقٍ وتأنٍ ولكي يتحقق ان رأس الابرة اصبح داخل الوريد ولم يتعدَّهُ يحدث فراغاً في الحقنة وذلك بسحب العمود الزجاجي قليلاً فيدخل اذ ذاك الدم من الوريد الى الحقنة اذا كان رأس الابرة داخل الوريد واحياناً كثيرة يدخل الدم الحقنة بدون احداث فراغٍ في هذه لشدة احتقان الاوردة . واما اذا لم يدخل الدم الانبوبة بعد احداث الفراغ فيها فذلك دليل اما على ان الابرة لم تدخل الوريد البتة او انها دخلتهُ واخترقتهُ حتى تعدت فوهتها داخلهُ واذ ذاك يلزم سحب الابرة قليلاً بحيث يبقى رأسها تحت الجلد واعادة وخز الوريد واحداث الفراغ حتى يدخل الدم منهُ الى الحقنة واذ ذاك ينبه المريض الى الكف عن ضغط ذراعهِ او اذا كان على الذراع رباط ضاغط يرفع عنهُ ثم يحقن السائل ببطءٍ ولا يلزم ان تفرغ الحقنة كلها بل يجب ان تنزع الابرة من الوريد وفي الانبوبة شيءٌ من السائل لكي لا تدخل الوريد فقاقيع الهواء التي توجد احياناً رغماً عن كل الاحتياطات بين رأس العمود الزجاجي والسائل وبعد اخراج الابرة من الوريد يوضع عند نقطة الوخز كتلة من القطن مبلولة بمحلول السليماني ويكلف المريض بالضغط عليها بابهامهِ ثم يرفع ذراعهُ اليسرى الى الاعلى ويحرك مفصل المرفق طيّاً ونشراً ليسهل سير الدم في الاوردة صُعُداً .

واذا كان لا بدَّ من حقن مرضى كثيرين بحقنة واحدة يجب بعد حقن كل مريض غسل انبوبة الحقنة ثلاثاً بمحلول السليماني ١٠٠٠/١ واحماء الابرة على لهب الالكحول حتى درجة الاحمرار لتطهرها من الدم الذي لوثها قبل ادخالها في وريد آخر . اما المريض الميسر فيمكنهُ ابتياع حقنة ليختص باستعمالها دون سواه وهي رخيصة الثمن على دقة صنعها ومتانتها

واشير على كل طبيب باتخاذ هذه الطريقة الحديثة متى كان في حاجةٍ الى علاجٍ سريعٍ فعَّال او متى تعذر عليهِ لسببٍ من الاسباب ادخال الادوية الى الجوف عن طريق الفم او المستقيم . وهذه الطريقة افضل من طريقتي الحقن تحت الجلد وفي العضلات لانها اسرع منهما فعلاً واقل المًا وهي لا تقتصر على حقن محاليل املاح الزئبق في علاج الزهري بل تشتمل كل السوائل الدوائية التي يمكن ادخالها الدورة الدموية مباشرةً ولا يلزم الطبيب الاحجام خوفاً فانهُ ان اتخذ في الحقن الاحتياطات التي ذكرناها لا يلحق بالمريض ادنى ضرر . والبرهان على ذلك ان الدكتور ابادي وكل تلامذتهِ المنتشرين في جهات الارض الاربع يستعملون هذه

الطريقة العلاجية منذ اعوام طوال ولم يحدث لمرضاهم اقل انزعاج منها . وانا احقن بها اكثر من مئة مريض كل يوم في عيادة الدكتور ابادي ولم ارَ حتى الآن عرضاً مزعجاً اصاب مريضاً

والغريب ان اطباء المستشفيات الكبيرة لم يفطنوا الى تعميم هذه الطريقة المفيدة الأَّ حديثاً فقد رأَيت منذ ايام طبيباً خصوصياً ارسلهُ رئيس مستشفي المجاذيب لدرس هذه الطريقة في عيادة الدكتور ابادي ثم يستعملها في ذلك المستشفى . اما الحقن الزجاجية الخصوصية للحقن في الاوردة فتباع في كل مخازن العدد الجراحية ولكن اجودها يباع في مخزن موريا بباريس وهذا عنوانهُ Paul Moria 104 Brd. St. Germain

باريس الدكتور ابراهيم شدودي

الصحيح من الفراسة

دلالة الشعر — ليس الشعر من ملامح الوجه لكنهُ متَّصل بها ويذكرهُ اهل الفراسة لان لهُ شأْناً كبيراً في الدلالة على جمال الانسان وجنسهِ وسنهِ كما لا يخفى

رؤُوس الناس كلهم مغطاة فروتها بالشعر الأَّ ان بعضهم يصيبهم الصلع متى اكتهلوا او شاخوا ويقال ان في استراليا اقواماً متولدين بين الاستراليين والصينيين يكونون صلعاً او جلحاً من صغرهم

ويختلف لون شعر الرأس اختلافاً كبيراً من الابيض الكتَّاني الى الاصفر الذهبي فالاشقر البني فالاسود الفاحم . وبين هذه الحدود الاربعة الوان شتى لا ضابط لها والاسود اكثرها شيوعاً فهو لون شعر المغول والملقبين سكان الصين والهند وما يليهما من البلاد شرقاً وجنوباً والزنوج سكان افريقية واستراليا وهنود اميركا سكان القارتين الشمالية والجنوبيَّة وسكان جنوبي اوربا واكثر سكان جزيرة العرب وما يليها من العراق وبلاد فارس . ويتلوهُ الاشقر وهو غالب على الشعوب الساكنة شمالي اوربا وهي من فروع الجنس الآري وعلى نسلهم في اميركا واهالي فنلندا وهم من فروع المغول

ويختلف لون الشعر عن لون العينين غالباً وباتفاقهما يُستدلُّ على صراحة النسب وباختلافهما على امتزاجهِ . فاذا كان الشعر اسود والعينان سوداوين فالابوان من شعب واحد اسود الشعر واذا كان الشعر اسود والعينان زرقاوين او الشعر اشقر والعينان سوداوين فالابوان من شعبين مختلفين احدهما اسود الشعر والعينين والثاني اشقر الشعر ازرق العينين

والاَّ فأحد اسلافهما من شعبين مختلفين

و يظهر بالاستقراء ان شقر الشعر يقلون في الاوربيين بالتقدم من الشمال الى الجنوب وسود الشعر يزيدون كذلك بالتقدم من الشمال الى الجنوب كما ترى في هذا الجدول

	الذين شعرهم اسود او ضارب الى السواد	الذين شعرهم اشقر	بين بين
من اهالي الدنمارك	٣ في المئة	٦٨ في المئة	٢٩ في المئة
" " اسكتلندا	٣١ "	٤٥ "	٢٤ "
" " فينا	٤١ "	٣٣ "	٢٦ "
" يهود اوربا	٧٣ "	١٤ "	١٣ "
" اهالي مالطة	٧٩ "	٩ "	١٢ "

والشعوب التي لا يقتصر لون شعرها على السواد ترى اختلافًا كبيرًا في الوان شعرها فاليهود وهم شعب واحد لما امتزجوا بغيرهم من الشعوب ظهر في شعرهم كل الالوان من الاسود الفاحم الى الاشقر الذهبي وقس على ذلك الفرنسويين والايطاليين والسوريين لكن الشقر في سكان الجبال اكثر منهم في سكان المدن وفي الاقاليم الشمالية اكثر منهم في الجنوبية مما يدلُّ على ان لبرد الهوء علاقة ثابتة بلون الشعر وهذا الحكم يصدق ايضًا على لون البشرة ولون العينين فان بيض البشرة اكثر في الجبال وفي الاقاليم الشمالية منهم في السهول وفي الاقاليم الجنوبية . وسود العيون اكثر في المدن والاقاليم الجنوبية منهم في الجبال والاقاليم الشمالية

والاحكام المتقدمة مبنيَّة على الاحصاء والاستقراء ففي كل الف من اهالي سكسونيا مثلاً ٣٧٨ عيونهم زرق و ٣٣٤ عيونهم شهل و ٢٨٨ عيونهم سمر . ومن هؤلاء الالف ٦٩٤ شعرهم اشقر و ٣٠٦ شعرهم اسمر اي بين الاسود والاشقر ومنهم ٩٤٠ بشرتهم بيضاء و ٦٠ بشرتهم سمراء . وكلما تقدَّمت جنوبًا كثر سمر العيون والشعر والبشرة كما ترى من المقابلة بين الالف من اهالي سكسونيا والالف من اهالي بودابست في المجر

	لون العينين			لون الشعر		لون البشرة	
	الازرق	الاشقر	الاسمر	الاشقر	الاسمر	الابيض	الاسمر
من سكسونيا	٣٧٨	٣٣٤	٢٨٨	٦٩٤	٣٠٦	٩٤٠	٦٠
من بودابست	٢٩١	٣٩٩	٤٥٠	٥٠٩	٤٩١	٧٧٩	٢٢١

واذواق الناس مختلفة في ما يعدونهُ جميلاً او غير جميل من لون الشعر ولكنهم يكادون

يتفقون على كراهة اللون الاحمر ومحبة الاشقر الذهبي والاسود الفاحم

ويختلف طول الشعر كثيراً فهو في الآريين والساميين طويل جداً حتى لقد يزيد طولهُ على طول الجسم . ذكر الاستاذ منتيغزا انهُ يعرف امرأَة حسناء من جمهورية ارجنتين شعرها اطول من جسمها عشرة سنتيمترات وانهُ رأَى بنات في براغواي لو نشرنَ شعورهنَّ حول ابدانهنَّ لتغطت بها كلها لغزارتها

ولا علاقة بين غزارة الشعر وطولهِ ولكن بين ثخنهِ ولونهِ نسبة ما فان الشعر الاشقر اثخن في الغالب من الاسمر والاسود. وبين الصلع والجنس علاقة فانهُ كثير في الرجال ونادر في النساء

والشعر الاسود مستدير والجعد مفرطح اي اذا قطعتَ الشعر الاسود رأَيت مقطعهُ دائرةً واذا قطعتَ الشعر الاجعد رأَيت مقطعهُ اهليلجياً. وبين هذين الحدين اشكال متوسطة تقرب الى الاستدارة او الاهليلجيَّة

ويختلف ثخن شعر الراس عن ثخن شعر الوجه والبدن كما ترى في هذا الجدول

قطر شعر الطفل الرضيع	٠,٠١	من المليمتر
" الشعر الذي على شفة المرأة العليا	٠,٠٢	" "
" " " ذراع الرجل	٠,٠٣	" "
" شعر رأس المرأة	٠,٠٦	" "
" " رأس الرجل	٠,٠٨	" "
" " حاجبي الرجل	٠,١٢	" "
" " شاربيهِ	٠,١٣	" "
" " لحيتهِ	٠,١٥	" "
" " ابطهِ	٠,١٥	" "
" " هلب الخنزير	٠,٢٧	" "

ويختلف الناس كثيراً في اهتمامهم بشعرهم ولا سيما النساء منهم وهذا الاهتمام قديم جداً من ايام المصريين والاشوريين الاقدمين وهو غير محصور بشعب من الشعوب ولا بعصر من العصور الاَّ ان اسلوبهُ متغير ولا سيما في هذا العصر اذ تجد المرأَة الاوربية تعقص شعرها على اساليب مختلفة في النهار الواحد

واللحية والشاربان خاصة بالرجل لكنهُ في بعض الشعوب يبلغ ويكتهل من غير ان ينبت شعر لحيتهِ وشاربيهِ او ينبت لهُ شعر قليل . وقول العرب "من طالت لحيتهُ قصرت فطنتهُ" لا

دليل على صحتهِ لان اللحى تطول في احط اهالي استراليا الاصليين كما تطول في ارقى الشعوب الآرية . هذه خلاصة ما يقال في الشعر من حيث دلالتهُ على الجنس والجمال

الخيلان — شامات في الوجه تُستَحسَن او تُستَقبَح حسب موضعها وكونها مفردة او متعددة وكثيرًا ما تزدان صفحة الخد بالخال لانهُ يظهر بياضها وحمرتها وبضدها تتبيَّن الالوان حتى ان بعض النساء يضعن على وجناتهنَّ دوائر سودًا تبين كالخيلان اظهارًا لروائهنَّ . وقد افاض اهل الفراسة في دلالة الخال على الاخلاق بما لا طائل تحتهُ

الغضون — تظهر الغضون في الوجه والجبين إما من الشيخوخة او من تكرار الانقباض العضلي او من الهزال وقلة التغذية . واسبابها طبيعيَّة فيمكن البحث فيها علميًّا وهي غير خاصَّة بالوجه والجبين بل تكون في كل اعضاء الجسم . واهمها بالذكر ما يأتي

(١) غضون الجبين العرْضية اي الممتدة من صدغ الى صدغ وقلما يخلو منها جبين رجل جاز الاربعين وتكون ايضاً في جباه الاولاد اذا كانوا مصابين بالسل او البله او لين العظام

(٢) غضون الجبين العمودية اي الممتدَّة من الاعلى الى الاسفل وهي تظهر باكرًا في الرجال الذين يشتغلون الاشغال العقلية وتظهر فيهم كلهم اذا تقدموا في السن

(٣) الغضون المقوسة والمتقاطعة وتكون في وسط الجبين من اسفلهِ واذا ظهرت في الحداثة دلَّت على زيادة الالم البدني او الادبي

(٤) غضون اللحاظ وهي تنتشر من عند لحاظ العين في السنة الاربعين من العمر وما بعدها

(٥) غضون الانف العرضية او العمودية وهي تظهر وقت البلوغ او وقت الشيخوخة

والغضون تظهر في الرجال قبل النساء وهي اشد غورًا في العصبي المزاج منها في غيرهم وفي الذين انتابتهم الامراض او نحفت ابدانهم بعد سمنها فاذا سمن الانسان حينما يتقدَّم في السن فالغالب ان الغضون لا تظهر فيهِ حينئذٍ

هذه زبدة ما تدلُّ عليهِ ملامح الوجه المذكورة في هذا الجزء والذي قبلهُ من حيث شكلها ولونها اي انها تدلُّ على جنس صاحبها وسنهِ والشعب الذي هو منهُ ويُعَدُّ بها جميلاً او غير جميل حسبما اصطلح عليهِ الناس . ولكن لها دلالات أُخرى بحركاتها وسكناتها تُعبّر عما يخالج الضمير من راحة او تعب وحب او بغض وسرور او غيظ ونحو ذلك كما يعبر اللسان عن هذه الامور حتى يصحُّ ان نقول ان للملاح لغة تنطق بها نطقاً تراهُ العين ولو لم تسمعهُ الاذن ويرى منها شديدو الفراسة اكثر مما يرى غيرهم حتى انهم يقرأُون افكار صاحبها من النظر الى وجههِ وقد يظنون ان الملامح نفسها اي هيئتها التكوينية هي التي دلتهم على اخلاق صاحبها والحقيقة

انهم استدلوا بحركاتها ولو كانت طفيفة جدًّا لا بشكلها ولا بلونها الاَّ اذا كان هذا الشكل وهذا اللون ملازمين لطائفة من الناس ولها اخلاق خاصة بها او اذا تكرَّرت حركتها على اسلوب واحد حتى ابقت لها اثرًا فيها . وسنأتي على تفصيل ذلك كلهِ في الاجزاء التالية

اصلاح نسل الانسان

لو كان موضوع هذه المقالة اصلاح نسل الحيوان كالخيل والغنم والبقر لاهتمَّ اهل الزراعة بها وقرأُوها بالامعان الذي تستحقهُ . ولكن اصلاح نسل الانسان وعليهِ يتوقف ارتقاء الامم وتفوُّقها على غيرها يراهُ جمهور كبير من القراء امرًا ادًّا لا يجوز البحث فيهِ ولا تحلُّ الكتابة عنهُ . ولو زار الارض احد سكان الكواكب واخبرتهُ ان علماء الارض يهتمون باصلاح نسل الغنم والبقر ولا يهتمون باصلاح نسل البشر لظنك تمزح او تهذي ولكن هذا هو الواقع ولولا الميل الفطري الى الارتقاء والحث الديني على العفة لكان نوع الانسان احط من انواع كثيرة من الحيوان

للاوربيين ولا سيما الانكليز منهم اسلوب حسن جدًّا لتخليد ذكر العلماء ونشر الحقائق العلمية بين العامة منهم وهو جمع مالٍ يُعطى ريعهُ لمن يُنتدب لخطبة علمية يتلوها تذكارًا للعالم الذي يراد تخليد ذكرهِ . ومن هذه الخطب الخطبة التي تتلى على ذكر الاستاذ هكسلي وقد دُعي للاولى منها الاستاذ فركو الالماني ونشرناها في حينها ودعي للثانية الدكتور فرنسيس غولتن العالم الانكليزي صاحب المباحث المستفيضة في الوراثة وآثار الانامل فخطب في التاسع والعشرين من الشهر الماضي (اكتوبر) خطبة موضوعها امكان اصلاح نسل الانسان في الاحوال الحاضرة . ويستفاد مما قالهُ في هذا الصدد ان اخلاق الناس تختلف كثيرًا ولكنها تجري في قوتها وضعفها وشيوعها وانحصارها على قانون حسابي يسمى قانون التغلُّب ومفاد هذا القانون انهُ اذا اتصف مئة نفس بخلق من الاخلاق فيكون هذا الخلق على متوسطهِ في خمسين منهم . والخمسون الباقون نصفهم فوق هذا المتوسط ونصفهم تحتهُ . واذا قسم الخمسة والعشرون الذين فوق المتوسط الى ثلاث طبقات كان ١٦ منهم في الطبقة التي تلي الوسط و ٧ في الطبقة التي فوقها و ٢ في الطبقة العليا وكذا الخمسة والعشرون الذين تحت الوسط يكون ١٦ منهم في البطقة التي تليهِ و ٧ في الطبقة التي تحتها و ٢ في الطبقة السفلى . فالنوابغ في كل خلق من الاخلاق لا يزيدون على اثنين في المئة والمنحطون الى الدرك الاسفل فيهِ لا يزيدون على اثنين

في المئة ايضاً واكثر الناس من المتوسطين في ذلك الخلق

واذا توسعنا في الاحصاء ونظرنا في عشرة آلاف نفس لا في مئة فقط رأينا خمسة آلاف منهم في الطبقة الوسطى و ٢٥٠٠ في الطبقات التي فوقها و ٢٥٠٠ في الطبقات التي تحتها. ومن اهل الطبقات التي فوق الوسط ١٦١٣ في الطبقة التي تلي الوسط و ٦٧٢ في الطبقة التي فوقها و ١٨٠ في التي فوق هذه و ٣٥ في الطبقة العليا . وكذلك يكون الامر في الطبقات السفلى اي يكون ١٦١٣ في الطبقة التي تلي الوسط و ٦٧٢ في التي تحتها و ١٨٠ في التي تحت هذه و ٣٥ في الطبقة السفلى . فالنوابغ في كل امر من الامور يبلغون نحو ٣ في الالف والمنحطون فيهِ انحطاطاً تاما يبلغون ايضاً نحو ثلاثة في الالف وبقية الناس بين بين واكثرهم في الطبقة الوسطى

هذا يكون حال الناس اذا تُركوا يتوالدون من غير اعتناء خاصّ باصلاح نسلهم اي من غير ان يُغرى المرتقون منهم بالزواج وإخلاف النسل ويُعتنى باولادهم اعتناء خاصاً لحفظ صحتهم وتثقيف عقولهم وتهذيب اخلاقهم ومن غير ان يمنع المنحطّون عن الزواج لكي يقل عددهم وينقرض نسلهم رويداً رويداً . واما اذا بُذلت العناية في ما تقدَّم من اغراء المرتقين بالزواج ومنع المنحطين عنهُ فلا بدَّ من ان تتغيَّر النسبة المذكورة آنفاً ويكثر عدد اهل المناقب ويقل عدد اهل المعايب

واذا قدِّر ثمن الاولاد بما تستفيدهُ منهم بلادهم وامَّتهم كما يقدَّر ثمن نتاج الخيل بما يستفيدهُ منها اصحابها وساوى طفل الابوين اللذين من الطبقة الدنيا عشرة دنانير فطفل الابوين اللذين من الطبقة العليا يساوي الف دينار او عشرة آلاف دينار كما يباع مهر الهجين بخمسة دنانير ومهر الاصيل بخمسة آلاف

وهذا الحكم لا يقتصر على الرجال بل يتناول النساء ايضاً فاذا قُصِر الانتقاء على الرجال وعلى الطبقة العليا منهم وابيح لهم التزوج بمن يشاؤُون من بنات الطبقة العليا وغيرها من الطبقات التي تحتها من غير انتقاء وقسمنا مئة من نسلهم الى ثماني طبقات وجدنا في الطبقة العليا منها نحو ٤ انفس وفي الطبقة الثانية وفي التي تحتها نحو ١٠ وفي الثالثة نحو ٢١ وفي الرابعة نحو ٢٧ وفي الخامسة نحو ٢٣ وفي السادسة نحو ١٠ وفي السابعة نحو ٣ وفي الثامنة نحو ١ . واما اذا تناول الانتقاء الرجال والنساء ايضاً فتزوَّج رجال الطبقة العليا بنساء الطبقة العليا فقط جاء اولادهم من الطبقات الخمس الاول فقط لا من التي دونها . اي ان الاخلاق الموروثة في الوالدين تفعل بالنسل ولكنها لا تعيدهُ الى الطبقات الدنيا فيكون في الطبقة العليا نحو

١٨ نفساً وفي الثانية ٢٩ وفي الثالثة ٢٩ ايضاً وفي الرابعة ١٥ وفي الخامسة ٩ انفس ولا يكون احد من اولادهم في الطبقة السادسة والسابعة والثامنة

فاذا ثبت ذلك وامتنع الذين من الطبقات الدنيا عن التزوُّج وإخلاف النسل زاد عدد الذين من الطبقات العليا رويدًا رويدًا وارتقت بهم الامم ونجت من متاعب كثيرة اذ يقل فيها الاشرار والبهَّال ويكثر الفضلاء والمجتهدون

الاَّ ان المنع ليس مما يسهل امرهُ فلم يشر بهِ الخطيب بل اشار بترغيب الفضلاء والفاضلات في الزواج واخلاف النسل وذلك بان ينتبه رؤساء المدارس للنابغين من طلبة العلم وطالباتهِ الذين يمتازون على غيرهم بالقوى العقلية والادبية والهمَّة والنشاط ويبحثوا عن اصلهم وفصلهم وما في اسلافهم من الادواء والاميال وكثرة الولد او قلتهِ حتى اذا رأوهم من اصح الناس بنيةً واجودهم صحَّةً واذكاهم عقلاً واكرمهم اخلاقاً اعطوهم شهادات ناطقة بذلك فيكون لهم الامتياز على غيرهم في الزواج

وما يرى في الاحداث من الاخلاق قد لا ينمو فيهم بتقدمهم في السن وقد تظهر فيهم اخلاق فاضلة متى اكتهلوا لا تكون فيهم في حداثتهم ولم يبحث احدٌ حتى الآن عن نسبة الاحداث الى الكهول من حيث نمو الاخلاق ليعلم كم عدد الذين تستمرُّ اخلاقهم الفاضلة على النمو وكم عدد الذين تزيد فيهم هذه الاخلاق او تنقص ولكن مهما يكن من ذلك فلا شبهة في ان ترغيب خيرة الناس في الزواج واخلاف النسل يفضي الى اصلاح الامَّة بتكثير الاخيار فيها كما ان منع الاشرار والكسالى عن التزوج يفضي الى اصلاحها بتقليل الاشرار والبهَّال

ومن الوسائل التي اشار بها الخطيب لترغيب الاخيار في الزواج اعطاء الاموال صداقاً لاهل الفاقة منهم وإسكانهم في بيوت جامعة شروط الصحة واكرام الذين لا يحتاجون الى المال منهم بالرتب ونحوها مما تُظهر بهِ البلاد اكرامها لابنائها وبث التعاليم الدينية في نفوسهم لكي تزيد عفتهم ويقوى تمسكهم بالفضائل . وقد جرى الناس في كثير من البلدان المتمدنة على تأخير الزواج من باب اقتصادي لكثرة النفقات التي ينفقونها فيهِ وعلى اولادهم ولكن يمكن تغيير ذلك وتقليل النفقات كثيراً فلا يعود الزواج الباكر من البواهظ بل يصير من المعونات

وقد جرت البنات الاوربيات والاميركيات المتعلمات على تأخير الزواج الى السنة الثامنة والعشرين او التاسعة والعشرين من عمرهنَّ لكي يتفرَّغن للدرس في المدارس العالية ومناظرة الرجال في العلوم والفنون . وعدل بعضهنَّ عن الزواج مطلقاً واخترن العزوبة عليهِ لكي يخلصنَ من هموم البيت والاولاد . سئِلت ناظرة مدرسة عالية عما يستفيدهُ بنات مدرستها من العلوم

بعد خروجهنَّ منها فقالت ان ثلثهنَّ يستفيد من علومهِ فائدة كبيرة وثلثهنَّ يستفيد فائدة صغيرة واما الثلث الثالث فلا يستفيد شيئًا . فقيل لها وماذا يفعل اللواتي لا يستفدن فقالت انهنَّ يتزوجنَ . وعلى هذا المنوال قلَّ عدد الراغبات في الزواج بين النابغات في العلوم

ومن رأي الخطيب انهُ اذا تزوَّج البنات باكرًا في السنة الحادية والعشرين او الثانية والعشرين كان نسلهنَّ اكثر ممَّا لو تزوجن في الثامنة والعشرين والتاسعة والعشرين لان العقم يحدث في سن معلوم فالتي تبكّر في زواجها تلد اكثر من التي تؤَخرهُ . فاذا روعيت هذه القاعدة وأُصلحت المساكن حتى قلّت الامراض شبَّ الاولاد اقوياءَ الابدان والعقول ، وتناسل منهم اولاد اقوياءُ ايضًا فتقوى بهم الامَّة و يعظم شأْنها . وتدرَّج الخطيب من هذه القضايا النظرية الى قضيَّة عملية فقال ان الشعب الانكليزي ينفق كل سنة على اعمال البر اكثر من اربعة عشر مليون جنيه تذهب كلها صدقات للمساكين أَفليس عندنا سبل أُخرى لمساعدة ابناء الامَّة غير هذا السبيل . اني لا اشير الى الانفاق على تعليم الشبان مع اني أَرى نفسي مدفوعًا الى ذلك لما فيهِ من النفع الكبير ولكني اشير الى ما يفعلهُ بعض الاغنياء المحسنين من مد يد المساعدة الى الشبان وهم في اول عمرهم ليسهل عليهم الارتقاءِ . ان من يقرأُ ترجمات المشاهير يعجب من كثرة الرجال الذين ارتقوا بقليل من المساعدة وهم في اول اعمالهم . ولا اعني بهذه المساعدة ان يعتمد الشاب الفقير على الرجل الغني وتكون العلاقة بينهما علاقة المحسنِ الى المحسَن اليهِ بل ان يمدَّ الغنيُّ يد المساعدة الى شاب يماثلهُ عقلاً وهمَّة ولكن لم يمضِ عليهِ زمن كافٍ لجمع الثروة مثلهُ فيكون بينهما نوع من المشاركة يفتخر بهِ كلٌّ منهما الغنيُّ يقول اني اعنتُ شابًا يستحق المعونة والشاب يقول اني استعنت برجل كريم لكي ارتقي في الاعمال واصير قادرًا على اعانة غيري . اي تكون بينهما نسبة شريفة نسبة الشريك الى شريكهِ لا نسبة مهينة نسبة المحسِن الى المحسَن اليهِ

ولا تقتصر المساعدة علي الفتيان بل تتناول الفتيات ايضًا كأَن يتكرَّم المحسنون بالمال على البنات القليلات الثروة اللواتي ينتظر منهنَّ النسل المرتقي حتى يسهل عليهن التزوُّج وتربية الاولاد و يساعدن في تربية اولادهنَّ ايضًا

وابواب المساعدة واسعة لدى كبار الملاَّك وما ينفقونهُ في سبيلها رأس مال يعود عليهم بالربح الوافر فانهم اذا اختاروا اقوياءَ الابدان اصحاءَ العقول ودفعوا اليهم الاجور العالية وبنوا لهم البيوت الصحية وساعدوهم في معيشتهم زادوا صحَّة وهمَّة فاحسنوا خدمة املاكهم والاعتناءِ بها . وكيف يغفلون ذلك وهم لا يغفلونهُ في تربية مواشيهم بل يبتاعون الجيد القوي منها باغلى

الاثمان ويحسنون لهُ المأوى والعلف والخدمة فيعود ذلك عليهم بالفائدة الكبيرة

ومتى اختار الملاَّك اصحاء الابدان والعقول وجادوا عليهم بالاجور واسكنوهم البيوت الصحيَّة ونظروا اليهم نظر الشريك الى شريكهِ لا نظر المحسن الى المحسن اليهِ نشأ عندهم رجال يعتمدون على انفسهم و يُعتمَد عليهم وقد ينبغ منهم اناس يرتقي بهم شأن الامَّة كلها

وختم الخطيب كلامهُ بقولهِ ان اصلاح نسل الانسان من الممكنات وان مَن يسعى في هذا السبيل فسعيهُ حميد مشكور . وهذا العمل كبير شاق ولكن غايتهُ تستحق ان يتعب لها الناس و يبذلوا الوسع في الوصول اليها . وما نيلها بالامر الممتنع لانها خاضعة لناموس الوراثة وهو على عظم شأنهِ خاضع لعقل الانسان اذا عرف ان يستخدمهُ و ينتفع بهِ . وما من امة احوج من الامَّة الانكليزية الى اصلاح النسل لاننا انتشرنا في اقطار المسكونة وعلينا يتوقف مستقبل الملايين الكثيرة من نوع الانسان

حسناء القرية

للكاتب الاميركي واشنتون ارفنغ

كنت اطوف في داخليَّة بلاد الانكليز اروّح الخاطر والنفس من عناء الاعمال ومشاغل الاشغال ففي عصر ذات يوم القيت عصا الترحال في قرية خلعت عليها الطبيعة رداء من السكينة والعزلة والبست سكانها ثوبًا من البساطة يندر وجودهُ في القرى الواقعة على السبل العامَّة والطرق المطروقة فاتيت فندق القرية حيث تناولت شيئًا من الطعام ثم خرجت امتع الطرف بمحاسن تلك المناظر . ولم أسرْ طويلاً حتى بلغت الكنيسة وقد قامت بمعزل عن البيوت فاذا بها قديمة العهد التحف برجها بالمعرشات الأ اجزاء منهُ اطلَّت فوق الخضرة وقد سوَّدها تقادم العهد وكرور الزمان . وكان اول النهار ماطرًا والجوّ لا يزال محجوبًا بالغيوم المكفهرة الأ رقعة منهُ في الغرب انفرجت عنها السحب فاندفعت اشعة الشمس وراءها واضاءت اوراق الاشجار الدامعة وابتسم بها وجه الطبيعة ابتسام السكينة والهدوء وكأن الشمس قبل الغروب تقيٌّ بارٌّ يكاد يفارق الحياة وهو يبسم على هموم العالم واحزانهِ وكأن سكينة انحلالهِ دليل على انهُ سيقوم الى المجد العتيد

فاخترت حجرًا كبيرًا جلست عليهِ وغرقت في بحر التأملات كما يفعل من كان في مثل تلك الساعة والاحوال واخذت افكر في ما مضى من العمر وما تخلَّلهُ من الحوادث وتذكرت

اصدقاء الشباب ومن منهم فارق الحياة او غادر البلاد الى آخر ما يخطر للمرء من هذه التأملات التي هي احلى من السرور والذّ منهُ. وكان جرس الكنيسة في خلال ذلك يقرع قرعات منقطعة جاءت مكملة لما كنت فيهِ ثم افقت من ذهولي وفطنت الى انّ الجرس انما يقرع قرعات الحزن وانهُ ينعي انتقال ساكن جديدٍ من اهل القبور اليها

وما عتمت ان رأيت جنازة عابرة المرج ثم غابت في منعطف وكانت تظهر مرة ثم تختفي وراء السياجات وثغورها حتى مرَّت بي فاذا بساط الرحمة تحملهُ فتيات اتشحن بالبياض وامامهنّ عذراء تكاد تكون في السابعة عشرة تحمل اكليلاً من الازهار الناصعة البياض اشارة الى ان الفقيدة فتاة عذراء ووراء النعش والدا الميتة وهما شيخان وقورا المنظر تدل هيئتهما على انهما من الفلاحين ذوي اليسار ولحظت ان الاب يحاول اخفاء حزنهِ لكنّ شخوص عينيهِ وتعقد حاجبيهِ وتغضن وجههِ جميعها دلَّت على ما كان يختلج في صدرهِ اما الامّ فكانت مستندة الى ذراعهِ وقد كاد صدرها ينشق بما انفجر فيهِ من حزنها — حزن الوالدة الثكلى . فتبعت الجنازة الى الكنيسة ورايتهم يضعون النعش في وسطها وقد علقوا اكليل الازهار وقفازًا ابيض فوق مقعد الفقيدة حيث كانت تجلس في حياتها لاستماع الصلاة

وكلنا يعلم ما تنبههُ فينا صلاة الجنازة من الخشوع والوقار اذ ليس بين البشر من لم يسرْ وراء احد اعزائهِ الى القبر على انّ وقعها يزداد في النفس اذا تليت فوق بقايا الطهارة الذابلة في مقتبل العمر . ولمَّا لفظ الكاهن هذه العبارة المألوفة "من التراب والى التراب تعود" انهمرت الدموع من عيون تربيات الفقيدة واجتهد الاب في منازعة حزنهِ كأنهُ يتعزى بان الموتى الذين يموتون في الربّ مغبوطون لكنّ الامّ كانت ترى في ابنتها زهرة قصفت قبل اوانها وذبلت في اشدّ حلاوتها فكانت كراحيل "تبكي على اولادها ولا تريد ان تتعزّى"

ولمَّا عدت الى الفندق حدثني بعض من لقيت فيهِ بحديث الفتاة وها انا اوردهُ على بساطتهِ كما رواهُ محدثي ولا يبعد ان تكون هذه القصة واحدة من مئات مثلها

ولدت هذه الحسناء من والدين ذاقا لذة النعمة وجرعهما الدهر مرارة الخسارة فربيت وحيدة تربية السذاجة القروية وتتلمذت لراعي كنيسة القرية فكانت الحمَل المحبوب في قطيعهِ وتعهد ذلك الرجل الصالح تهذيبها بمحبة واهتمام ابويين قاصدًا ان يربيها لتصير حليةً لمقامها الذي وجدت فيهِ لا لان تطمع في ما فوقهُ من مراتب الحياة فاختار لها من الدروس ما ظنهُ يفي بهذه الغاية . وتعلقت نفس والديها بها فكانت تفعل ما تشاء معفاة من جميع الاعمال البيتية العادية فولَّد ذلك فيها دلالاً ورقة طبع ودماثة اخلاق جانست ما بها من لطف القوام وبهاء

الطلعة وجمال الوجه حتى ان الناظر اليها ليخالها زهرة من ازهار البساتين افرخت اتفاقاً بين نباتات الحقول . وكانت تربياتها يعترفن لها بالميزة عليهنَّ في الجمال والدلال لا عن حسد او غيرة لان لطفها وعطفها وحنوها فاقت جمالها واكسبتها حبَّ الجميع

ولما كانت القرية بمعزل عمَّا حولها من البلدان ابقى اهلها على بعض التقاليد والعادات الانكليزية القديمة فكانوا يحافظون على الاعياد لا سيما نيروز مايو . والفوا في راعي كنيستهم منشطاً لهم فقد كان الرجل كلفاً بالعادات القديمة يعتقد ان من واجبات المرء زيادة افراح الحياة وتشديد اواخي السلام بين الناس فكانوا يحتفلون برعايتهِ بنيروز مايو هذا سنة فسنة فينصبون العمود ويكللونهُ بالخضرة والازهار ويزينونهُ بالرايات ثم ينتخبون ملكة النيروز من فتياتهم فترأس الحفلة وتوزع الجوائز والهدايا كما كانوا يفعلون في العصور القديمة فكانت تلك الحفلات وجمال القرية الطبيعي داعية لجذب الزوَّار والمتفرجين اليها من الجوار . وحدث ان ضابطاً فتىً كانت فرقتهُ معسكرة في تلك الناحية زار القرية ابَّان النيروز فراقهُ ما فيهِ من البساطة والرونق وسلبت لبَّهُ ملكة مايو بجمالها ولطفها (وهي حسناء القرية) وقد كلَّلوها بالازهار وانار وجهها الابتسام العذب والحياء الطاهر وتورَّدت وجنتاها ابتهاجاً وحبوراً . ولما كانت عادات المكان بسيطة استطاع الضابط ان يتعرفها ولم يمضِ ردحٌ من الزمان حتى اكتسب صداقتها وميلها اليهِ وهو يتودَّد اليها ويبدي انعطافهُ لها كما يفعل كثيرون من الضباط الشبان فيعبثون بسذاجة القرويَّات وقلوبهنَّ

لكنهُ لم يفاتحها امر الحبّ ولا اتى على ذكرهِ وانما هنالك من الطرق للافصاح عنهُ ما هو ابلغ من الكلام واسرع منهُ بلوغاً الى القلب واشد وقعاً فيهِ فاتقاد العينين ورنَّة الصوت والرقَّة التي تنبعث من كل لفظة ونظرة وحركة — هذه صور بلاغة الحبّ يشعر بها الواحد ويدركها لكنهُ يعجز عن وصفها. فلا بدع اذاً ان الفتى اكتسب قلباً خليًّا طاهراً يفيض بالعواطف . اما الفتاة فاحبتهُ وهي لا تفقهُ ما الحب ولم تقف لتسأل نفسها عن ذلك الشعور الذي انبثق في فؤادها فشغلها عن سائر الخواطر والعواطف ولم تتردَّد في النظر في عواقبهِ فاكتفت بالحاضر ولم تنظر الى المستقبل فاذا حضر حبيبها صارت كلها آذاناً وعيوناً لسماع كلامهِ والتملي من مرآهُ واذا غاب عنها عادت تتأمل فيما حدث لها في اجتماعهما الاخير وكانا يقضيان زمان اللقاء يتماشيان في الحقول والهضاب المجاورة بين الخضرة والاشجار فعلَّمها ان ترى في الطبيعة حولها جمالاً جديداً لم تكن تراهُ وحدها وهو يطرفها بالاخبار والنكات بالكلام المسبوك كلام اهل الطبقة العليا من الناس فكان كمن يتنفس في أُذنيها انفاس التخيل والشعر والحرية

وكان انعطاف هذه الفتاة اليهِ كاظهر ما يكون عليهِ الحبّ وقد يحدث ان جمال منظرهِ وبهاء بزتهِ العسكرية خلبا لبها لاول وهلة وانما الذي أسر فؤادها مبلغهُ من التربية والمعرفة والتعليم فكان حبها لهُ يقرب من العبادة فنبَّه فيها اجتماعهُ بها رقَّة عواطفها واستعدادها الفطري للتخيل الشعري فاستيقظت فيها تلك العواطف للشعور بالجمال والرفعة والعظمة ولم تحفل بالبون الشاسع بينهما في المقام والغنى وانما الذي وقع في نفسها ورفع قدرهُ في عينيها مقارنة ما شاهدتهُ فيهِ من قوّة العقل وكمال آداب المخالطة والمعاشرة والسلوك وما اعتادتهُ من سذاجة العيشة القروية فكانت تصغي لاحاديثهِ باذنين مسحورتين وقد اغضت عينيها حياءً وابتهاجاً وتورّد خداها فاذا التفتت اليهِ التفاتة الظبي النفور على سبيل الاعجاب بهِ عادت فاستردّت لحظتها وهي تتنهد وقد صبغ وجهها الحياء شعوراً منها بتقصيرها عنهُ

وكان الفتي يهواها بقدر ما تهواهُ على ان حبهُ لها لم يكن خالصاً من الشوائب فانهُ طالما سمع اخوانهُ الضباط يتفاخرون باخبار حبهم لبنات القرى ووقائعهم معهنّ فرأى ان يحذو حذوهم صوناً لصيتهِ بينهم على ان ملاهي العالم وملذاتهِ لم تكن قد بردّت فؤادهُ ولا ملأتهُ بعد بمحبة الذات فلم تكد جذوة الحبّ تمسهُ حتى اتقد جميعهُ وقبل ان يدري الفتي شيئاً عن حالهِ اذا هو يهوى فلما ادرك الحقيقة حار في امرهِ لعلمهِ ان امامهُ من الموانع ما يمنع اقترانهُ بالفتاة التي احبها فمقامهُ في الهيئة الاجتماعية وتعصب انسبائهِ من الاشراف وكونهُ عالة على والدٍ متكبر صعب المراس جميع هذه وقفت حائلاً دون اقترانهِ بالقروية ولكنّ سذاجة الفتاة وثقتها بهِ واخلاصها لهُ وطهارتها وسلامة حياتها من الشوائب ورقة لحظاتها الممزوجة بالحشمة تغلبت علي افكارهِ السيئة . وسدًى حاول ان يشدّد قلبهُ بتذكار ما سمعهُ من اخبار الاشراف وقلة شفقتهم ليبرّد ما فيهِ من شريف العواطف الكريمة فلم يستطع فكان اذا اجتمع بالفتاة الفاها مجللة بطلسم تلك الطهارة العذراوية السرّية — ذلك الجوّ المقدس حيث تنهزم الافكار السيئة

وحدث في ذلك الحين ان الاوامر صدرت لفرقتهِ بالسفر الى اوروبا فتمّ بهِ اضطراب افكارهِ وظلّ بضعة ايام في قلقٍ عنيف مستمرّ فاخفى الخبر عن الفتاة الى ان دنا يوم السفر فاطلعها عليهِ اما هي فلم يكن الفراق قد خطر ببالها ففاجأ نبأهُ حلم سعادتها فقطعهُ ورأت فيهِ خسارةً لا تعوّض فبكت بكاء الاطفال بكاءً صادراً من قلب نقي حزين فتأثر الفتى جداً فاخذ يعزيها و يطيب خاطرها ويقبل دموع الحزن من عينيها وهي لا تصدهُ لان هنالك من الساعات ما يختلط فيهِ الحزن ورقة القاب فيقدّسان ملاطفة الحبّ . وكان الفتى بعدُ في حدة الشباب فلما رأى تلك الحسناء تذرف الدمع وقد القت اتكالها عليهِ وخشي ان يخسرها الى

الابد تغلبت عواطفهُ على عقلهِ فعرض عليها ان تترك والديها وتصير رفيقة عمرهِ . وكان حديث العهد في فنّ الاغواء فتمتم هذه الكلمات وقد صبغ الدم وجههُ اما الفتاة فلم تفقه مغزى قولهِ ولم تدرك سبباً لمغادرة قريتها وبيت ابيها لكنها لم تعتم ان فطنت الى قصدهِ واندفع ذلك الخاطر في نفسها كالبرق اللامع فاحرقها ونشف عينيها فارتدت مذعورة الى الوراء كمن انتصبت امامهُ افعى ثم نظرت اليهِ نظرة نفذت الى قلبهِ ولم تفه ببنت شفة بل ضمت يديها وهربت — كمن يطلب النجاة — الى بيت ابيها وعاد الضابط خجلاً ثائباً ولا يعلم ما ثار في صدرهِ من الحرب التي اثارتها هواجسهُ واضطرابهُ على ان اهتمامهُ بالسفر واستعدادهُ لمبارحة تلك الديار صرفا افكارهُ في وجهة اخرى وتلا ذلك تنقلهُ في بلدان ومناظر جديدة وملذات جمة بين الرفاق والاصدقاء فاسكت هذا التنقل والتبديل صوت توبيخ ضميرهِ وتقريعهِ وخنق عواطفهُ الكريمة لكنهُ ظلَّ في وسط المعارك وفي المعسكرات والولائم تسيح افكارهُ وتعود الى تلك القرية البديعة فيتذكر الكوخ الابيض والطريق المكسوَّ بالخضرة على ضفة النهر الفضي ويتصور تلك القروية الحسناء مستندة الى ذراعهِ تصغي الى حديثهِ وقد اتقدت عيناها بالحب الخفي

وكانت الضربة التي حلَّت بالفتاة فهدمت عالم خيالها قاسية شديدة فمنيت بالاغماء والصرع وعقب ذلك ما لنخوليا مستمرَّة — نظرت في صباح غد ذلك اليوم المشوم الى الجنود وقد اصطفوا ينتظرون الامر بالمسير ثم رأت حبيبها الخائن راكباً ركوب الظافر يجري بهِ الجواد بين نفخ الزمور وقرع الطبول وبريق الاسلحة — نظرت اليهِ آخر نظرة وقد انعكس نور الشمس عن حلتهِ وعدتهِ وحرَّك النسيم ريش خوذتهِ الى ان غاب عن عينيها فكان كرؤْيا لامعة مرَّت بها وخلفت وراءها ظلاماً دامساً

ولا اسهب في قصر حكايتها بعد ذلك فانها كسائر اخبار الحبّ العقيم فصارت تطلب الخلوة وتقضي اوقاتها في التجوال حيث كانت تمشي وحبيبها قبل فراقهما وهي كالغزال المجروح تبغي البكاء والانفراد مفكرة في السهم الذي راشهُ الحزن ورماهُ في فؤَادها وكانت تختار احياناً الجلوس في العشية امام كنيسة القرية وكثيراً ما سمعتها الحلاَّبات وهنَّ عائدات في المساء تغني اغاني شجية ماشيةً على مهل في اظلال الاشجار وزادت تديناً وتقوى وتعلقاً بالتعزية الالهية حتى اذا ما رآها الشيوخ والعجائز مقبلة الى الكنيسة نحيلة صفراء وعلى وجنتيها بقعتان حمراوان وقد اتشحت بوشاح الحزن المقدَّس فتحوا لها طريقاً بينهم كما لبعض اهل عالم الارواح وهزوا رؤُوسهم كمن يرى العاقبة غير بعيدة

وعلمت انها سائرة في طريق القبر لكنها اعدَّتهُ مكاناً لراحتها بعد ان انقطع الوتر الفضي

الذي كان يربطها بالحياة و بعد ان لم تعد ترى سرورًا في ما تحت الشمس ولم يطل زمان غيظها من حبيبها اذ لم يكن الغيظ من طبيعتها فلما اشرفت على الانحلال خطَّت كتاب وداع اليهِ حشوهُ البساطة في عبارات تمسُّ اعماق القلوب فاخبرتهُ انها على حافة القبر وان سلوكهُ معها اذبل حياتها ثم وصفت ما قاستهُ من صنوف العذاب الى ان قالت " ولكني لا استطيع ان اموت بسلام ما لم ابعث اليك بغفراني و بركتي "

واخذت القوة تفارقها تدريجًا حتى لم تعد تستطيع الخروج من البيت فكانوا يجلسونها على كرسي تجاه النافذة ويحيطونها بالوسائد فتقضي النهار تتأمل ما امامها من المناظر لا تنبس بشكوى ولا تنمُّ بما ينخر فؤَادها من الداء المستعصي ولا تفوه باسم حبيبها لكنها كانت احيانًا تسند رأسها الى صدر والدتها وتذرف الدمع السخين صامتةً . واقام والداها التعيسان على الاعتناء بزهرة آمالهما الذابلة وهما يعللان النفس بانها تعود الى سابق نضارتها حاسبين ان تلك الحمرة التي كانت تصبغ وجنتيها بعض المرَّات بشير الصحة والعافية

وفي عشية بعض الآحاد جلست بينهما ويداها في ايديهما والنسيم البليل يدخل البيت من النافذة حاملاً انفاس الازهار التي غرستها بيديها وعرشتها حول النافذة وكان والدها يقرأُ لها فصلاً من التوراة يصف بطلان الامور العالمية وسرعة زوالها و يشير الى افراح السماء فاكسبها ما سمعتهُ راحة وسكينةً وكانت عيناها متجهتين الى كنيسة القرية والجرس يقرع صلاة المساء وقد سكنت الطبيعة سكونًا مقدسًا خاصًّا بيوم الراحة وابواها ينظران الى وجهها و يتأملانهِ بقلوب تكاد تنفطر لان المرض والحزن اللذين يسلبان الوجوه من جمالها اكسبا وجه هذه الفتاة هيئة الملائكة — حينئذٍ انحدرت دمعة من عينها الزرقاء — أَفكانت تفكر في حبيبها الخائن او اتجهت افكارها الى القبر حيث علمت ان جسدها سيرقد الى الابد

و بينما هم كذلك اذا صوت وقع حوافر ثم اندفع فارس نحو البيت فترجَّل تحت النافذة وللحال صاحت الفتاة وأُغمي عليها فانهُ كان حبيبها التائب فاسرع الى الغرفة وتقدَّم يريد ان يضمها الى صدرهِ لكنَّ نحول جسمها وشحوب وجهها الجميل نفذا الى اعماق قلبهِ فانطرح عند قدميها كالمجنون وافاقت الفتاة والتمست الوقوف فلم تستطعهُ ثم حاولت ان تمدَّ يدها وفتحت شفتيها كمن يريد النطق ولكن ابى اللسان ان يطيعها فحدقت بحبيبها وعلى فمها ابتسامة حلوة مملوءة بالانعطافات ثم اطبقت عينيها — الى الابد

خليل ثابت

مدينة الخرطوم

مضى على الخرطوم ست عشرة سنة كانت فيها قاعًا صفصفًا وطللاً دارسًا باليًا ينعق في خرائبها البوم لا يعلم عنها العالم المتمدن شيئًا ولا يذكر اسمها الاَّ مقرونًا بما وقع فيها من الحوادث المشومة حين سُفك فيها دم البطل الانكليزي الجنرال غوردون. فتحها المهدي فذبح رجالها وسبي نساءها ودكَّ ابنيتها ونقل حجارتها وما سلم من رياشها الى ام درمان فامست خربًا تكتنفها الرمال المحرقة ولم يبقَ فيها سوى بعض جدران قليلة من سراي غوردون شاهدة على ما كانت عليهِ من العزّ والمنعة وقد بقيت رغمًا عن اوامر المهدي وتشديدهِ بمحو كل اثر للحكومة السابقة فكأَن القضاء ابقاها اثرًا لدم بطل السودان الذي سفك فيها يستنهض الامم لردّها الى مجدها السابق ومحو آثار المهدوية . هكذا بقيت الخرطوم ست عشرة سنة حتى فتحها الجيش المصري بقيادة كتشنر باشا سنة ١٨٩٨

مررت بين خرائبها المتبعثرة ومشيت على رمالها المحرقة في اواخر سنة ٩٨ فلم اصدّق ان الحكومة تنوي جعلها عاصمة السودان واعادتها الى عزّها السابق بل الى اعظم منهُ فتحيي العظام وهي رميم ولم يدر في خلدي ان وحشتها ستصبح انسًا ورمالها المحرقة جنات يجري من تحتها النيل فيرويها وينميها وخراباتها الدارسة قصورًا فخيمة فيقصدها من المغرب والمشرق التجار واصحاب الاموال . ولم يخطر لي ببال انني ارى فيها بعد عشرات من السنين عقائل واوانس غربيات وشرقيات يسكنّ قصورها ويخطرن بازيائهن في شوارعها ولكن حدث ذلك كلهُ في ثلاث سنوات فذكرني بقصص خاتم المارد . والمال قوة لا تبارى اذا عضدتهُ اصالة الرأي وثبات العزيمة

لا يتوهمنَّ القارئُ انني اصف لهُ مدينة عظيمة كالقاهرة او الاسكندرية كلاَّ لان الخرطوم لا تزال في بداءتها وكل ما فيها الآن من الابنية والجنائن والتجار وارباب الاموال قليل لكنهُ يدل على انها آخذة في النمو وان نموها سيكون سريعًا

من يأتي الخرطوم في القطار يرى وهو على ستة اميال منها نقطة بيضاء في الافق تكبر رويدًا رويدًا حتى يصل الحلفاية فيتحققها فيراها بناءً فخيمًا جميلاً ذا ثلاثة ادوار امامهُ من جهة النيل شجرات باسقات تظلل اكثر من مئة نفس وتحيط بهِ من الجهات الثلاث الاخرى حديقة غناء من شجر الفلفل والازهار البديعة الاشكال وتمخر امامهُ بين الحلفاية والخرطوم وام درمان البواخر الحربية والتجارية. هذا البناء سراي الخرطوم ومسكن حاكم السودان العام وعند

ما يخر النيل عابرًا الى الخرطوم تستوقف نظره ابنية اخرى مبنية بالقرميد الاحمر على الطراز الاوربي منها كبير ومنها صغير تمتدُّ على شاطىء النيل عن يمين السراي و يسارها وتكتنفها اشجار النخيل الباسقة من كل جانب — منظر يشرح الخاطر و يسرّ القلب . فعن يسار السراي مساكن نائب الحاكم العام و كثيرين من الضباط الانكليز فنادي الضباط الانكليز فنادي الضباط المصريين (لم يتم بناؤُهُ) فالاسبتالية العسكرية (لم يتم بناؤُها) وعلى بعد الف متر منها افخم واعظم بناءٍ في الخرطوم بل قد لا يكون نظيرهُ في القاهرة في اتساعهِ وهو كلية غوردون التي سيكون لها شأن كبير في مستقبل السودان وعلى مقربة منها ثكنات العساكر الانكليزية

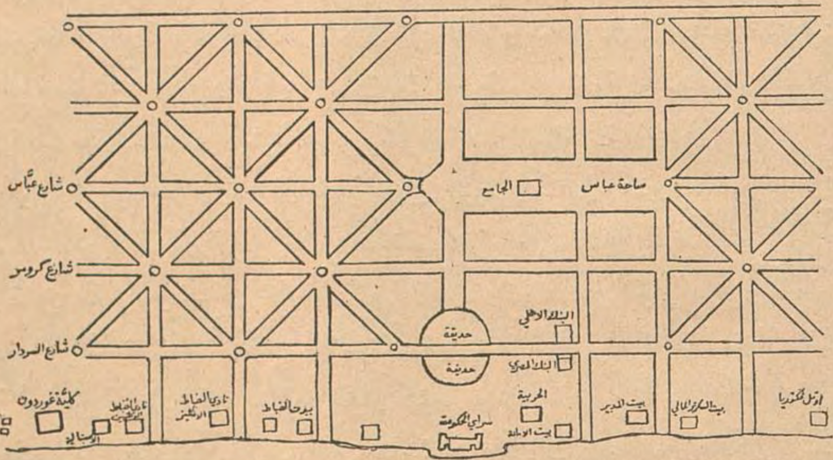
شارع عبّاس
شارع كرومر
شارع السردار
ساحة عباس
الجامع
حديقة
حديقة
البنك الاهلي
البنك المصري
الحربية
بيت الامانة
سراي الحكومة
بيت المدير
بيت السكرتير المالي
اوتيل فكتوريا
بيوت الضباط
نادي الضباط الانكليز
نادي الضباط المصريين
كلية غوردون
الاسبتالية

رسم شوارع الخرطوم

وعن اليمين دار الحربية وهي من اجمل ابنية الخرطوم لا يفوقها في الكبر والفخامة الاَّ كلية غوردون وفيها الآن جميع دوائر الحكومة . وعن يمينها واقرب منها الى النيل بيت الامانة (لم يتم بناؤُهُ) فبيت مدير الخرطوم فبيت سكرتير السودان المالي فنزل (هوتيل) الخرطوم وكل هذه الابنية مبنية على الشاطىء الغربي من البحر الازرق من القرميد المشوي الاحمر وهي جميلة متقنة البناء حسنة الوضع طيبة الهواء

واجمل منظر لهذه الابنية شاهدتهُ من الجهة المقابلة على شاطىء النيل الشرقي في الحلفاية حيث رأيتها امامي صفًّا واحدًا فاستوقفت بصري مدة كثر فيها اعجابي بها ونظرت اليها ليلاً من ذلك المكان نفسهِ فشاهدت انوارها منعكسة في مياه النيل تتلألأُ على سطحهِ والنيل ساكن هادىءٌ كانهُ ابى الحركة فقلت سبحان مغير الاحوال

اما شوارع المدينة واسواقها فقد خُطِّطت في اول سنة ١٨٩٩ ومن ذلك الحين والبناء قائم فيها على قدم وساق خصوصاً في شارع عباس وشارع كرومر حيث قد تمَّ بناء اكثر الابنية واجملها ومعظمها يخص الضباط الوطنيين ومستخدمي الحكومة واغنياء تجار السودان

اما طول الشوارع وسعتها واستقامتها فحدث عنها ولا حرج فتمر في الشارع منها ست مركبات جنباً لجنب بين الرصيفين. وكل الشوارع التي قامت فيها الابنية نظيفة واهتمام الحكومة شديد بتنفيذ كل وسائل النظافة في كل احيائها

اما تجارتها ففي تقدّم وقد اقيم فيها بناءان جميلان للبنك الاهلي والبنك المصري يدلك ذلك على ما لارباب الاموال من الآمال في مستقبل السودان عموماً والخرطوم خصوصاً. ولا انسى جامع الخرطوم الذي يكاد يتم بناؤُهُ في ساحة واسعة في قلب المدينة فقد وقفت انظر اليهِ مدة متعجباً بجمالهِ وفخامة بنائهِ. ويحيط بالخرطوم من الجهة الجنوبية والغربية على شكل نصف دائرة ثكنات الجيش المصري وكلها في احسن المواقع الطيبة الهواء

وهواء الخرطوم جيد ويشتدُّ فيها الحرّ بين ابريل واكتوبر وكثيرًا ما تثور فيها ريح السموم في الفصل المذكور فترفع الرمال الى طبقات الجوّ وتغطي المدينة بطبقة كثيفة من الغبار فتأوي الناس حينئذٍ الى مخادعها وتقفل الابواب والنوافذ لكن الغبار يدخل والابواب موصدة والنوافذ مقفلة ويملأُ المخادع والاسرة. وحين تهدأُ الريح يرى الانسان منزلهُ اشبه شيء بمطحنة على كل شيء فيهِ طبقة من الغبار كثيفة

هذه هي الخرطوم الآن فكيف تصير بعد عشرين عاماً ذلك في علم العزيز الحكيم

احد قراء المقتطف

شباننا والعمل

بحثٌ يظلُّ وان تقادمَ عهدهُ   ابدًا طليًّا في الشفاهِ جديدا
ويدوم ذو العقل السليم مجرّدًا   للنفع يطلبُ ما أُعيدَ مزيدا

سبق لي أن أثبتُّ في المجلد الثامن عشر من المقتطف مقالةً بهذا العنوان نفسهِ عرَّبتُها عن جريدةٍ اميركيةٍ وكان لها احسن وقعٍ عند كثيرين من الشبان. والآن رأيتُ ان أُضيف اليها مقالةً أُخرى ضمَّنتُها ما املاهُ عليَّ الاختبار ونبَّهني اليهِ كثيرون ممَّن عنوا بهذا الموضوع الخطير والبحث الجليل واذا صحَّ ما ارتأيتهُ فيها

كانت المدارس عرضةً لانتقادٍ جديدٍ لم يكن في الحسبان ولا خطر على بال المدرسين . وها انا اعرضها على ذوي الالباب ولهم فيها رأيهم الموفق الى الصواب

تنبئُنا الاحصاءات الرسميَّة للمواليد والوفيات والدخل والخرج ان معظم الامم في نموّ وتكاثر والغنى على توفُّر وازدياد والاعمال كلَّ يوم يزداد نطاقها امتدادًا ودائرتها اتساعًا قضاءً لما يجدُّ من الحاجيات ويحدث من التأنّق في الكماليَّات ومع ذلك ترى كثيرين من الشبان في العالم عمومًا وفي شرقنا خصوصًا بطَّالين لا عمل لهم او عاملين ولكن باجرة بخسةٍ وراتب قليلٍ ان بلَّغهم الكفاف من الرزق واغناهم عن التسوُّل لم يمكّنهم من اقتصاد شيءٍ يشغلون بهِ فراغ الكيس احتفاظًا بالناموس الطبيعي القائل « ان لا فراغ في الكون »

والشبان الذين نعنيهم على الخصوص بهذه المقالة هم الذين تربَّوا في المدارس العالية ونالوا نصيبًا كبيرًا من العلوم والمعارف التي تسهّل عليهم الطريق الى تعاطي اعمالٍ كثيرة وامتهان حرفٍ متنوعة . هؤلاء تجد اكثرهم على ما ذكرنا وترى الاعمال قريبة منهم وابواب النجاح غير بعيدة عنهم فيأخذك العجب من هذا التناقض وتودُّ استجلاء الحقيقة والوقوف على السبب وتظنُّ ان محادثتهم في هذا الشأن تنيلك المراد وتمكنك من معرفة علة بطالتهم وعدم نجاحهم

ولكن اذا طارحتهم السؤال لم تظفر منهم بجوابٍ يقضي لبانتك لأنهم في الغالب يشبعونك تأفُّفًا وتذمُّرًا ويوشكون ان يتخموك من سماع شكوى الزمان ومعاندة الايام ولو خالفتَ عقلك وحكمت بمقتضى ما سمعتَ لقضيتَ بانَّ البطالين منهم مظلومون والعاملين مغبونون منحوسون . ولكنك ترى ايها المطالع الكريم انَّ الحقيقة التي تنشدها في هذا البحث الخطير لا تتفيَّأُ مثل هذه السفاسف الصبيانيَّة والمخارف العجائزية . نعم إنَّ افرادًا منهم لم ينالوا استحقاقهم من المناصب ولا أُعطوا ما هم اهل لهُ من الرواتب كما أنَّ آحادًا غيرهم خدمتهم الصدف وجرت رياح التقادير على إِيثارهم فادركوا من المقامات والارزاق ما لم يقس بمقياس الاهلية ولا أُعطي على قدر الاستحقاق ولكنَّ هذين الفريقين خارجان عن مقتضى القياس وحكم الاطراد فلا يبنى عليهما وجهٌ جامع ولا استنتاج عامٌّ

واذا كانت الاعمال في الكون تتوالد وتتكاثر كالمخلوقات الحية وتزداد على مدى الايام تفرُّعاً وتشعُّباً فمن مصلحة اربابها أن يفتّشوا عن العملَة « بالسراج والفتيلة » ولا يُعقل أنهم يتردَّدون في قبول من يعرض عليهم الخدمة او يتأخرون عن ترقية العامل النشيط في المنصب والاجرة لانهم ينتفعون من خدمتهِ او ترقّيهِ اضعاف ما ينتفع هو منهم فليسوا من المجانين حتى يرفضوا الربح او يتقاعدوا عنهُ وهم اقدر الناس على استنباط طرق تحصيلهِ

اذًا علة البطالة وعدم نجاح كثيرين من العاملين . ليست في الاعمال نفسها لانها كثيرة ولا في اربابها لانهم في احتياجٍ دائمٍ الى العمال وليس من مصلحتهم تعطيل اعمالهم . واذا كانت العلة ليست في الاعمال ولا في اربابها فلا بُدَّ ان تكون في العمَّال انفسهم لكنَّ بعضهم او اكثرهم لا يرونها فيهم او يرون جزءًا يسيراً منها وينسبون معظمها الى الاعمال واربابها و « سوء الحظ وعدم التوفيق » وهذه المزاعم نفسها حجر عثرة في سبيل تقدُّمهم وحاجز حصين بينهم وبين النجاح الذي عبثًا وباطلاً يعلّلون نفوسهم بالحصول عليهِ

ولهذا الاعتقاد الراسخ في اذهانهم اسبابٌ مهيئة واسبابٌ عارضة فالاسباب الأُولى وهي منشأُ العلة ومدبُّ الداء فعلت فيهم منذ نعومة اظفارهم واعدَّتهم لفعل الاسباب العارضة التي المَّت بهم عابثةً لاعبة واناخت عليهم آكلةً شاربة. وفي هذا الكلام اجمال لا بدَّ من تفصيلهِ

دخل هؤُلاء الشبان المدارس الابتدائية وانتقلوا منها الى المدارس العالية التي هي في مصر وسورية على اختلاف أنواعها متساوية في انَّ اكثر اساتذتها ومدرسيها رجالٌ انحصرت معارفهم بفروع العلوم التي أُقيموا على تعليمها للطلبة وليس لهم اقلُّ اختبار باحوال العالم خارج ابواب المدارس فهم على جهلٍ تامّ بالصنائع ولا يدرون شيئًا مما يتعلَّق بالامور الزراعية ولا يعلمون من التجارة وطرقها واساليبها اكثر من انها مصدرٌ من الفعل « تجر »

هذه الابواب الثلاثة — الصناعة والزراعة والتجارة — المفتوحة في العالم للكسب

والتحصيل لا يفقهُ اصحابنا المدرسون عنها حديثاً ولا يعلمون اين هي لانهم لا يرون لعينها في ابواب الصرف أثراً ولا يسمعون عنها في باب المبتدإ خبراً ولا يجدون لها في باقي العلوم الابتدائية والفروع العالية سكةً سلطانيةً تؤدّي اليها وان ألمُّوا ببعض المبادىءِ المتعلقة بها والراجعة اليها فإِلمامهم عقيم جديب ينقصهُ الاختبار . وغير خافٍ انَّ العلم شيءٌ وتطبيق العملِ عليهِ شيءٌ آخر . ومعلومٌ ايضاً ان الطرق العملية للإِثراء وجمع المال كثيرة لان جوف الارض محشوٌّ بمعادن الفضة والذهب وسطحها يتدفق بموارد الثروة والغنى لكنَّ هذه الطرق لا يحذقها الاَّ من اختطَّها بيدهِ او درَّبهُ عليها ابوهُ او شريكهُ او ربُّ عملهِ فبلغ غايتهُ منها وامتلأَت خزائنهُ شبعاً وفاضت معاصرهُ مسطاراً . أما المدرسون الذين ادركتهم حرفة الادب فانهم يحمدون الله على الفقر وفراغ « الجيوب » . ولا يعرفون طريقاً لكسب المال غير رأس الشهر الذي يتوقعونهُ اكثر مما يتوقع الصائم رؤْية الهلال . ولا يدركون معنى لمئات الجنيهات والوفها وملايينها سوى ما يعرض لهم من ذكرها في اثناءِ تعليمهم للطلبة بعض المسائل الحسابية والجبرية فكلٌّ منهم معنيٌّ بما قلتهُ مرَّةً

عجبتُ لمن مع الاولاد يقضي بتعليم الحسابِ لهم نهارَهْ
يجوز بهم مدى المليون عداً وما في جيبهِ مع ذاك بارهْ

ومن يكون هذا شأنهم فلا عجب اذا لم يستطيعوا ان يدربوا غيرهم على معرفة طرق التحصيل المادي والاكتساب المالي ولسان حال كلٍّ منهم يقول : « لو كنتُ طبيب الهوى طببت انا حالي »

على انهم عفا الله عنهم لا يقفون في الغالب عند حدِّ الجهل بهذه الامور المهمة ويتركون التلامذة وشأْنهم بل يسيئون اليهم على غير عمدٍ ويستأْصلون من اذهانهم الاستعداد الفطري الذي غرستهُ فيهم يد الطبيعة لمزاولة الاعمال وممارسة أسباب الارتزاق فكأَنهم — (والكلام بسرهم) لشدة حسدهم من المتموّلين لا ينقمون عليهم حتى على المال ايضاً واذ لا يستطيعون الى الانتقام منهم سبيلاً يعمدون الى تلامذتهم ويشربون قلوبهم كراهة الغنى ويمثلون امامهم كل يوم رواية الثعلب والعنقود وينشئونهم على

الزهد في هذه الدنيا الغرور والعالم الغدور ويستعينون بامثال الحكماء واقوال الشعراء والآيات التي أُوحي بها من السماء على اقناعهم بانَّ المال اصل كل الشرور (١) حتى لا يعود يحضر أُولئك الطلبة الاغرار من الشعر الاَّ ما كان من قبيل « تبًّا لهُ من خادع مماذق » او « رضينا قسمة الخلاق فينا » ولا يدور على السنتهم من كلام الوحي سوى « كونوا مكتفين بما عندكم » ولا يخطر ببالهم من اقوال الحكماء غير « القناعة كنز لا يفنى » ولا تجري اقلامهم في سوى موضوع « تفضيل العلم على المال »

هكذا يملي عليهم اساتذتهم فيلُقون السمع وهم شهداء وينقادون الى تصديقهم ببساطة الاولاد وطاعة الاغبياء . ويظنون المال غولاً هائلاً وشيطاناً في صورة الفضةِ والذهب ماثلاً . ويتوهمون لقلة عقولهم انهم بالامانة وحدها او بالاعتصام بهذه الحقيقة — « المرء باصغريهِ » فقط يقضون كل حاجاتهم ويستغنون عن خاتم المارد . ولكن بعد ما يودّعون المدارس ويخرجون الى العالم ويُلقى حبلهم على غاربهم تنبّه اعصابهم المؤثرات الخارجية الى شعور جديدٍ لم يخطر لهم قطُّ ببال ويعلمهم الاختبار درساً مناقضاً لجميع الدروس التي تعلموها في المدارس . لما كانوا بعد تلاميذ كان اباؤُهم او أوصياؤُهم يعنون بامورهم ويقضون لهم كل حاجاتهم ويكفونهم مؤُونة الاهتمام بسوى الانصباب على تحصيل العلوم . اما الآن وقد بلغوا اشُدَّهم وامتلكوا قياد انفسهم فلم يبقَ لهم من يحكُّ جلودهم غير اظفارهم .

انقشعت الغشاوة المدرسية عن عيونهم وتجلى لهم العالم بمجلاهُ الحقيقي وصورتهِ الصحيحة وادركوا مبلغ الغرور الذي بلغوهُ أيَّام المدرسة بفضل مدرسيهم . علموا الآن يقيناً أنَّ المال ليس اصل كل الشرور كما تعلموا واستعدُّوا لان يعلّموا بل هو مصدر كل خيرٍ جارٍ على وجه الارض . مسَّت الآن حاجتهم اليهِ وشعروا بشدَّة خطإِهم يوم كانوا يحكمون في محاوراتهم المدرسية بتفضيل العلم عليهِ . لقد امتحنوا الامر بانفسهم وجرَّبوهُ مراراً فلم يستطيعوا ان يتخذوا القرطاس ملبساً ولا اليراع مأْكلاً ولا الحبر مشرباً ولا الكتب مبيتاً ومركباً . جالوا في بيروت ودمشق من بلاد الشام . وفي

---

(١) مع ان الآية تقول محبة المال لا المال نفسهُ .

الاسكندرية والقاهرة من بلاد مصر ورأوا مظاهر العمران ومجالي الغنى والثروة ووجدوا ان الاغنياء لا العلماء اصحاب الرفعة والشان والمشار اليهم بالبنان في كل زمان ومكان وتحققوا أنَّ المرءَ ببرديهِ لا باصغريهِ . وأنَّ الذي قالوا فيهِ قبلاً « تبًّا لهُ من خادع مماذق » يقول فيهِ كل انسان « لولا التقى لقلت جلَّت قدرته » هذا كلهُ رأوهُ واستفادوا منهُ علماً ألمَّهم جدًّا وجرَّعهم مرارةً لا ينسونها الاَّ بحلاوة الغنى. طلبوا الغنى على طريق « الاستخدام » اذ لا مال عندهم للتجارة ولا المام لهم بزراعةٍ او صناعةٍ . فتفرقوا على ابواب الحكومة والاماكن التي تدار فيها الاعمال الكبيرة وتحتاج على الدوام الى عُمَّالٍ لهم إلمامٌ بالعلوم والمعارف وبعض اللغات الاجنبية . وعرِضت عليهم اعمال متعددة الاشكال مختلفة الانواع وليس لهم من الكفاءة والقدرة على تعاطيها سوى شيءٍ صغير في ذاتهِ لكنهُ كبيرٌ جدًّا عندهم وهو الامانة التي توهموا لسذاجة عقولهم وقلة اختبارهم انها وحدها مفتاح الغنى وباب الثروة والسلم الوحيدة للرقيّ الى ذرى التقدُّم والنجاح ولما باشروا الاعمال التي أُقيموا عليها أعطوا أجرةً على قدر استحقاقهم لا على حسب انتظارهم فلم ترضهم لانها يسيرة بالجهد تكفي لسد احتياجاتهم الضرورية فضلاً عن كمالياتهم التي شعروا في الحال بشدة لزومها مجاراة للاغنياء في طرق الترف والترفُّه فتقاضوا مخدوميهم الزيادة وما لهم من مسوّغ سوى امانتهم وكثرة اتعابهم محتجين ان الاجرة على قدر العمل وان عملهم كثير فاجرتهم ينبغي ان تكون كثيرة لكنهم وهم يحاولون عرض ما عندهم من بضاعة المنطق نسوا ابسط قواعد النحو التي لا يذكر ارباب الاعمال غيرها ولذلك صححوا لهم المقدمة الأُولى بان اثبتوا فيها مضافاً محذوفاً وقالوا لهم ان الاجرة على قدر نتيجة العمل . ونتيجة اعمالكم قليلة فاجرتكم ينبغي ان تكون كذلك . والحق ان هذه النتيجة صحيحة ولو كرهها شباننا وهي المادة الاساسية التي بني عليها دستور الترقي والتقدم او الانحطاط والتأخر في كل عملٍ خطير تحت السماء فالترقي في الاجرة والمقام والرتبة يبنى على النتيجة الحاصلة من الشغل العقلي والصادرة عن التعب الفكري والاَّ كانت الحيوانات الاليفة المذلَّلة لخدمة الانسان في جرّ الاثقال ونقل الاحمال أولى من كل انسان بارفع منصب واعلى اجرةٍ او على الاقلّ كان الفعلة العاملين بقواهم الجسدية احق من شباننا

بالاجور الفاحشة والرواتب الكثيرة . هذا الفاعل يعمل في «ورشةٍ» من مطلع الشمس الى مغيبها حتى يكاد يحرق بحرّ التعب ويغرق بفيض العرق ولا يعطى من الاجرة سوى بضعة غروش بينما الناظر او المهندس يقف لا يشكو نصَباً ولا يكابد تعباً ويعطى في يومهِ اما لا يأخذهُ ذاك في شهرهِ

هذه الحقيقة المهمة يذهل عنها شباننا وقلَّما يلتفتون اليها ويرفعون عيونهم الى ارباب الاعمال انفسهم او الى الذين هم فوقهم رتبةً وراتباً ودونهم بحسب زعمهم تعباً ومشقةً ويريدون أن يُساووهم في ذلك كلهِ ولا يذكرون ما قاساهُ هؤُلاءِ من التعب والمزاولة قبلما بلغوا الدرجة التي هم فيها الآن

وكثيراً ما يظنُّ شباننا انَّ طريق الغنى والمعالي مفروشة بالمخمل ومسوَّرة بالرياحين والازهار فيرون الذين بلغوا نهايتها وادركوا نتيجتها فيحسدونهم على حالتهم الحاضرة وتشرئبُّ اعناقهم الى مشاركتهم فيها مباشرةً دون ان تدمى لهم قدم او يخدش بنان بكُدى المشاق واشواك الاتعاب

وشرٌّ من هذا وذاك أن فريقاً منهم يؤْثر البطالة على الجري بموجب الدستور النظامي الذي سبق لنا الاشارة اليهِ وفيما هم يظنون انهم ينتقمون من ارباب الاعمال واصحاب الاموال يتحول انتقامهم اليهم وينصبُّ جام كيدهم عليهم وكم جنت على اهلها براقش . وكل يوم نرى بعيوننا ونسمع بآذاننا حوادث او احاديث منقولةً عن شبَّان استسلموا للنزق والطيش والاغترار وطلَّقوا الثبات والحزم والاصطبار . وآثروا البطالة على العمل مستجيرين من الرمضاءِ بالنار

ومن لا يعمل الاَّ ليطفر من حضيض الفقر الى يفاع الغنى وهذه الطفرة محال فلن يعمل ابد الدهر واذا كان العمل بركة للانسان فالبطالة شرٌّ لعنةٍ تحت الشمس وخير نصيحةٍ يختم بها كلامنا ان الاكتفاءَ بالامانة شرٌّ من الخيانة وتوقُّع زيادة الاجرة على عملٍ لم تزد نتيجتهُ ولا كثرت فائدتهُ هو السرقة بعينها . وزجر المدرسين عن بذر مثل هذه المخارف في اذهان التلاميذ من اهم الواجبات . وطريق الغنى والتقدم مفتوحة امام كل شابٍّ تدرَّع بالحزم والعزم وتذرَّع بالصبر والثبات

اسعد داغر

اكتشاف اميركا واحتلالها

تابع ما قبلهُ

ديانة اهالي المكسيك — كان الازتك منهم يقولون باله واحد خالق للكون ويخاطبونهُ في صلواتهم قائلين " ايها الاله الذي بهِ نحيا الحاضر في كل مكان الذي يعرف كل الافكار ويهب كل العطايا . الذي بدونهِ يصير الانسان هباءً منثوراً الاله الواحد الذي لا يُرى ولا جسم لهُ كمال الكمال والطهارة . الذي نجد تحت جناحيهِ الراحة والملجأ الامين " . وكأَنهُ تعذَّر عليهم ان يتصوَّروهُ واحداً لا شريك لهُ فاشركوا معهُ آلهة اخرى قالوا انها متسلطة على فصول السنة واعمال الانسان وهي ثلاثة عشر من الآلهة الكبار ونحو مئتين من الآلهة الصغار ولكلٍّ من هذه الآلهة يوم من السنة يعيدون لهُ فيهِ وعليها كلها إِله الحرب وهو الاله الخاص بالامة المكسيكية ولذلك كانت هياكلهُ افخم الهياكل وكانت الضحايا البشرية تضحَّى على مذابحهِ في كل مدن المملكة

ومن آلهتهم ايضاً اله الهواء وهو الذي علَّم الناس الفلاحة واستخراج المعادن وسياسة البلدان . وبهِ تزهر الاشجار وتثمر وتنبت الغلال وتأتي بالحبوب واسمهُ عندهم كواتزلكوتل وقد قالوا انهُ رجل ابيض اتاهم من الجهات الشمالية الشرقية قاطعاً البحر الاتلنتيكي بقارب لهُ اجنحة (اي شراع) كالسفن الاسبانية واقام بينهم سنين كثيرة وعلَّمهم ديانة جديدة ونظَّم لهم حكومة عادلة وعلَّمهم صنائع كثيرة نافعة وكان طويل القامة واسع الجبين كبير اللحية اسود الشعر لابساً جبَّة طويلة وفوقها رداءٌ معلم بالصلبان وكان عفيفاً متقشفاً كثير الصوم والتهجُّد يحب السلم ويكره الحرب فاحبهُ الجميع واكرموهُ لتقواهُ وفضائلهِ واستولى الامن على البلاد في ايامهِ وكثرت خيراتها ثم اضطرَّ لسبب من الاسباب ان يترك البلاد فنزل الى خليج المكسيك وطيب قلوب الاهالي الذين حضروا لوداعهِ ووعدهم ان يعود اليهم بنفسهِ بعد قليل او يرسل اليهم واحداً من قبلهِ عوضاً عنهُ . وكان قد صنع لنفسهِ سفينة من جلود الافاعي فسافر بها الى بلادهِ الجزيرة المقدسة عبر الاوقيانوس العظيم . واسم هذا الرسول في لغتهم كواتزلكوتل اي الحية الخضراء ومعنى الاخضر عندهم الفاخر او النفيس

ولما دخل الاسبانيون بلاد المكسيك رحَّب بهم الاهالي حاسبين انهم اتوا من قبَل هذا الرسول لانهم بيض الوجوه طوال اللحى مثلهُ وقد اتوا بسفن ذات شراع مثل السفينة التي اتى بها . فلم يصرفهم الاسبانيون عن هذا الزعم ولذلك تمكنوا من اخضاع البلاد بسهولة

وقد اختلف الباحثون في حقيقة هذا الرجل . اما الاسبانيون الاولون الذين دخلوا المكسيك فحسبوا انهُ احد المبشرين المسيحيين ذهب اليها من اوربا وقالوا انهم رأوا في ديانة اهالي المكسيك شيئًا من المشابهة للديانة المسيحية ولكنها لم تكن مقتصرة على ذلك بل كانت وثنية تعتمد على الذبائح البشرية . وقيل لهم ان هذا الرسول علَّم ديانتهُ للاهالي الاصليين وكانوا اهل علم وصناعة ثم هاجروا من البلاد في القرن الحادي عشر للميلاد واستولى عليها شعب الازتك وكانت ديانتهم فاسدة قائمة بالشعائر الدموية ولم يستقم امرهم الاَّ في اواسط القرن الرابع عشر فاقتبسوا ما بقي في البلاد من عوائد الشعب السابق وديانتهم ومزجوا ذلك بعوائدهم وديانتهم فصارت مجمع الاضداد من اللين والقسوة والفضيلة والرذيلة والعلم والجهل والتمدُّن والتوحش لامتزاجها من عقائد الشعب الاول وعقائد الشعب الثاني . وفي جملة عقائد الشعب الاول الاعتقاد بوجود اله واحد قدير خالق للكون ومتسلط عليهِ وهو مصدر كل خير وتحتهُ آلهة صغيرة ويقابلهُ شخص شرير وهو المسبب للشرور كلها والاعتقاد بوجود دار للثواب يقيم فيها الصالحون بعد الموت ودار اخرى للعقاب يقيم فيها الاشرار ودار متوسطة بين بين . وبأن للناس أمًّا واحدة وبها اتت الخطية الى العالم ويصورون معها حيَّة حيثما صوروها . وبأنهُ حدث في الارض طوفان عام لم ينجُ منهُ الاَّ عائلة واحدة ونجا ايضًا قوم من الجبابرة الاشرار فبنوا هرمًا عظيمًا يصل رأسهُ الى السحاب ولكن الآلهة امطرت عليهم نارًا فصرفتهم عن العمل

والآراء مختلفة في حقيقة هذا الرجل واقربها الى الصواب في رأينا ما اثبتناهُ في المجلد الخامس عشر من المقتطف في الكلام على رسول المكسيك وهو انهُ المطران برفون الارلندي وانهُ زار بلاد المكسيك في اواسط القرن السادس وبقي فيها سبع سنوات وهو يبشر اهاليهم ويعلمهم ثم عاد الى بلادهِ وتوفي فيها سنة ٥٧٨ وعمرهُ اربع وتسعون سنة . ثم امتزجت تعاليمهُ بالتعاليم الوثنيَّة التي كانت في البلاد قبلهُ او دخلتها بعدهُ فصارت منها ديانة اهالي المكسيك والكلام في هذه الديانة يملأُ مجلدًا كبيرًا فنقتصر منهُ على ما تقدَّم

وكانت آدابهم الدينية في الطبقة الاولى وحسبك قولهم سالموا جميع الناس . لا تنتقموا لانفسكم ينتقم الله لكم . وكان عندهم كثيرون من الكهنة حتى قيل انهُ كان في احد هياكلهم خمسة آلاف كاهن . واخص اعمال الكهنة تعليم الاولاد فالصبيان يعلمهم الكهنة والبنات يعلمهنَّ الكاهنات فيتعلم الصبيان القراءة والكتابة والادارة وبعض العلوم الطبيعية ويتعلم البنات الاعمال البيتية والحياكة والتطريز . ويعتنى بآداب الفريقين اعتناءً شديدًا . والعقاب صارم

جداً وقد يعاقب المذنب بالقتل فكانت الامة كلها في يد الكهنة لانهم هم الذين يربون اولادها و يهذبونهم

ونفقات الكهنة من اوقاف الهياكل وهي كبيرة كثيرة الريع وكانوا يديرونها بايديهم كما يفعل رهبان النصارى ولهم ريع آخر من تقدمات باكورات الاثمار والغلال ومن النذور الكثيرة التي ينذرها الشعب لكنهم كانوا يفضلون رهبان الاديرة وشيوخ الجوامع والتكايا في انهم يكتفون بالضروري لنفقاتهم واقامة شعائر الدين وما زاد على ذلك يوزعونهُ على الفقراء والمساكين ذلك فرض عليهم مفروض في ديانتهم

واسم الهيكل عندهم تيوكالي ومعناهُ في لغتهم بيت الله وهذا الاسم يشبه ان يكون يوناني الاصل فانهُ باليونانية ذيوكاليا . وشكل الهياكل هرمي كالاهرام المصرية المقطوعة قاعدة الواحد منها اكثر من مئة قدم في مئة قدم وارتفاعهُ اكثر من ذلك كثيراً وهو اربع طبقات او اكثر ينقص بعضها عن بعض و يصعد اليها بدرج من الخارج يدور حولها فيضطر الصاعد الى اعلاها ان يطوف حولها مراراً . وفي اعلى الهيكل برج ارتفاعهُ اربعون او خمسون قدماً فيهِ صورة المعبود الذي اقيم لهُ ذلك الهيكل وامام البرج الحجر الذي تذبح الذبائح عليهِ من الآدميين وموقدان عليهما نار دائمة . والمواقد او المذابح التي من هذا النوع كانت تعدُّ بالمئات فتنار بها شوارع المكسيك ليلاً

وكانت اعيادهم كثيرة كما تقدَّم واحتفالاتهم الدينية يشترك فيها الرجال والنساء والاولاد فيخرج النساء والاولاد باكاليل الازهار والرياحين حاملين تقدمات الاثمار والحبوب او مجامر البخور والطيوب . هذه كانت شعائر ديانة التلتك التي اضاف اليها الازتك الذبائح البشرية قبل الفتح الاسباني بنحو مئتي سنة

ومن اشهر اعيادهم عيد معبودهم تزكاتليبوكا وهو يتلو الههم الاعظم مرتبة ويسمونهُ روح العالم ويقولون انهُ شاب جميل المنظر لا يشيخ ابداً . يختارون لهُ كل سنة شاباً من الاسرى بديع المنظر معتدل القوام لا عيب فيهِ ويقيمون لهُ المعلمين يعلمونهُ ويلبسونهُ افخر الحلل و يطيبونهُ بالطيوب و يزينونهُ باجمل الازهار واطيبها عرفاً واذا سار من مكان الى آخر مشى الغلمان في خدمتهِ كأنهُ ملك رفيع الشأن وهم يسجدون لهُ لانهُ رمز الى معبودهم ويدوم ذلك احد عشر شهراً وفي الشهر الثاني عشر يزوجونهُ باربع عذارى من اجمل بناتهم ويتركونهُ معهنَّ شهراً كاملاً وهم يولمون لهُ الولائم الفاخرة حتى اذا انقضى الشهر خلعوا ثيابهُ المزوقة وساروا بهِ الى هيكل عبر البحيرة وصعدوا على درجهِ فيطرح الازهار التي كان مزداناً بها وتكسر آلات الطرب

التي تُسلَّى بها في اسرهِ . حتى اذا بلغ اعلى الهيكل لقيهُ ستة من الكهنة وهم لابسون حللاً مغطاة بالكتابات الصورية وشعورهم مجدلة وجدائلها مسدولة على ظهورهم وساروا بهِ الى حجر الذبيحة وهو قطعة كبيرة من اليشب مقعرة من اعلاها فيطرحونهُ عليهِ و يمسك بهِ خمسة منهم و يشق السادس صدرهُ بموسى حادة من حجر كالصوان و ينزع قلبهُ و يرفعهُ نحو الشمس ثم يطرحهُ عند قدمي المعبود الذي يعبد في ذلك الهيكل

هذه هي الوصمة الكبرى على ديانة اهالي المكسيك وتقتصر الضحايا على الاسرى الاّ اذا اجدبت البلاد لقلة المطر فيضحون الاطفال الذين يبتاعهم الكهنة من ابناء الفقراء و يضحونهم استجلاباً لرضى معبوداتهم . ولكن قباحة هذا العمل لا تنتهي هنا بل ان الاسير الذي يضحَّى على ما تقدم يعطى لآسرهِ فيطبخونهُ و يأكلونهُ و يحتفلون بذلك احتفالاً عظيماً جداً رجالاً ونساء وهم يحسبون ذلك شرفاً كبيراً لهُ ولهم لانهُ ضُحي للمعبود وأُكل في سبيل العبادة . وكثيراً ما كانوا يفرطون في عدد الاسرى الذين يضحونهم في وقت واحد فقد قيل انهم ضحوا سنة ١٤٨٦ وقتما اتموا بناء هيكل كبير لهم الوفاً كثيرة دفعةً واحدة ووجد كورتس فاتح بلادهم ١٣٦ الف جمجمة من جماجم الضحايا التي ضُحيت فيها وكأن هذه الوصمة اقنعت اهالي اسبانيا بفساد عمران المكسيك وبانهُ يحلُّ لهم الانتقام من اهلها

وكتابة اهالي المكسيك صورية كالهيروغليف المصري وقد ضاعت قراءتها الآن . وارقامهم العددية ابسط من الارقام الرومانية ولو لم تكن بسيطة كالارقام الهندية . وكانوا يقسمون السنة الى ١٨ شهراً في كلٍّ منها ٢٠ يوماً ثم يضيفون اليها خمسة ايام حتى تنطبق على السنة الشمسية ويسمونها ايام النحوس . ويقسمون الشهر الى اربعة اسابيع في كلٍّ منها خمسة ايام آخرها يوم السوق . ومزية هذا التقسيم على التقسيم المتبع في اسيا واوربا وافريقية ان الشهور كلها متساوية واليوم من الاسبوع هو هو في كل الشهور فاليوم الاول من الشهر هو الاول من الاسبوع الاول واليوم الثاني من الشهر هو الثاني من الاسبوع الاول واليوم السادس منهُ هو الاول من الاسبوع الثاني وهكذا في كل الشهور . ففي السنة ٧٣ اسبوعاً من اسابيعهم . اما اليوم الذي يزيد كل نحو اربع سنوات فكانوا يتركونهُ ٥٢ سنة ثم يزيدون مرةً ١٢ يوماً ومرةً ١٣ يوماً يقضونها في الاعياد والولائم فكان حساب السنين عندهم ادق من الحساب الشرقي المستعمل الآن في كثير من البلدان

وكانوا يبتدئون في تواريخهم من سنة تقابل سنة ١٠٩١ للميلاد ويقسمون الزمن الى ادوار كل دور ٥٢ سنة والدور الى اربع فرق كل فرقة ١٣ سنة

وكانت معرفتهم بعلم الفلك قاصرة على التنجيم ومعرفة سبب الكسوف واوقات الاعتدالين والانقلابين وكانوا يصنعون المزاول لمعرفة ساعات النهار ويقسمون اليوم الى ١٦ ساعة تبتدئ من شروق الشمس . وهذه الامور لا تعرف الاَّ بعد رصد دقيق وحسن نظر في الامور كما لا يخفى

والفلاحة اول المعايش واقدمها كانت في درجة عالية جدًّا عند اهالي المكسيك وهي ممتزجة بمصالحهم الدينية والمدنية فلها عندهم آلهة متسلطة عليها وشهورهم مسماة بالنسبة اليها وكان يعمل بها كل احد ماعدا الاشراف والجنود - الرجال منهم يحرثون الارض ويعملون بقية الاعمال الشاقة والنساء يزرعنَ البذار ويقطفن السنابل ويعملنَ بقية الاعمال الخفيفة . واذا ضعفت الارض من توالي الزرع تركوها بورًا لتستريح وتسترد قوتها. وقد حفروا الترع الكبيرة للري ووضعوا القصاصات الصارمة على من يقطع اشجار الحراج . وبنوا الاهراء الواسعة لخزن الغلال

ومن الاشجار المثمرة التي كانوا يعتنون بزرعها الموز والكاكاو الذي تصنع منهُ الشكولاتا وهذا الاسم مكسيكي الاصل . وكانوا يزرعون الفانلاَّ و يطيبون بها اطعمتهم واشربتهم

وكان اعتمادهم الاكبر على الذرة الاميركية فكانوا يعتنون بزرعها ويتفننون في طبخها وعمل الخبز منها واستخراج السكر من عيدانها . ويتلوها الصبر فكانوا يصنعون منهُ الورق والمسكر ويستخرجون اليافًا من اوراقهِ يغلونها و ينسجونها و يطبخون من جذورهِ طعامًا طيبًا اي انهُ كان لهم منهُ طعام وشراب وكساء

وكان لهم عناية خاصَّة باستخراج المعادن كالذهب والفضة والرصاص والقصدير والنحاس . لكنهم لم يكونوا يستعملون الحديد على كثرتهِ في بلادهم لما في سبكهِ من الصعوبة فاستعملوا بدلاً منهُ مزيجًا من النحاس والقصدير كما فعل المصريون قبلهم . وكانوا يقطعون بهِ اصلب الحجارة كالقوفا والبرفير والزمرُّد . و يسبكون الآنية من الذهب والفضة وينقشونها نقشًا بديعًا باقلام النحاس المقسَّاة بالقصدير . وكان لهم في مزج المعادن ولحمها مهارة كبيرة حتى اذا مثَّلوا الاسماك والطيور جعلوا بعض ريشها وحراشفها من الذهب وبعضها من الفضة واعترف لهم الاسبانيون بالتفوُّق عليهم في صناعة الصياغة . وكذلك كانوا ماهرين في صناعة النقش والتمثيل فنرى الصور في حجارة مبانيهم منطبقة على الحقيقة اشد الانطباق

ومن بدائع مصنوعاتهم قطعة كبيرة من حجر البرفير الاسمر ثقلها نحو خمسين طنًّا اي اكثر من الف قنطار مصري اتوا بها من مكان يبعد عن عاصمتهم اميالاً كثيرة فيها الجبال والاودية والانهار الكبيرة وقد اضطروا ان يقيموا لها الجسور فوق الانهر لنقلها ووقع بها واحد من هذه الجسور فعانوا في رفعها من الماء مشقة عظيمة كما عانى الانكليز في نقل المسلَّة المصرية

الى بلادهم . ثم رسموا عليها الرسوم الهندسيَّة والفلكية ممَّا يدلُّ على براعتهم في العلوم والفنون

وهم اول من استخرج صبغ القرمز ومن بلادهم أُتي بهِ الى أُوربا وكانوا يصبغون بهِ القطن والياف الصبر ويمزجون منسوجاتهم القطنية بصوف الارانب وغيرها من الحيوانات و يطرزونها تطريزًا بديعًا باشكال الازهار والاطيار

وابدع صنائعهم صناعة نسج الريش فان الطيور عندهم كثيرة فائقة في تزويقها و برقشتها فكانوا ينتفون ريشها و يصنعون منهُ حللاً لم ترَ العين اجمل منها

ولم يكن عندهم نقود مضروبة لكنهم كانوا يتعاملون بالتبر يضعونهُ في ريش الطيور بمقادير موزونة ويتعاملون ايضًا بقطع القصدير مسبوكة في شكل حرف التاء الافرنجيَّة و ببزر الكاكاو موضوعًا في اكياس صغيرة

وكان للتجارة عندهم مقام رفيع جدًّا فيضرب تجارهم الى البلاد القاصية ومعهم البضائع والسلع من الانسجة والمصوغات والعبيد و يأْخذون معهم الهدايا الفاخرة الى رئيس البلاد التي يقصدونها للاتجار فيها و يكون مع التاجر كثيرون من الحملة لحمل البضائع ولا يزيد حمل الواحد منهم على عشرين اقةً لانهُ لم يكن عندهم دواب لحمل البضائع و يكون معهُ ايضًا حرَس مسلح خوفًا من الغارات واذا اعتدى عليهِ احد ولم يستطع صدَّهُ استنجد بحكومة بلادهِ فتنجدهُ بالجنود و يكون ذلك سبيلاً للفتح وامتلاك البلدان كما يفعل الاوربيون في هذا العصر

وكان للتجار مجالس خاصة تدبر امورهم ولها شأْن كبير في البلاد حتى يستشيرها الملك في مهامهِ وهي تقضي بين التجار في الدعاوي المدنية والجنائية ايضًا

ولا يخفى ان احوال الامم ومنزلتها من العمران لا تبين في شيءٍ كما تبين في احوال بيوتها ونسبة الزوج الى الزوجة ونسبة الاثنين الى اولادهما وقد كان اهالي المكسيك من هذا القبيل في درجة حسنة جدًّا . كان الزواج عندهم مكرَّمًا تكريمًا دينيًّا وكان الرجال يكرمون نساءهم و يعفونهنَّ من كل الاعمال الشاقة فيقتصرنَ علي الاعمال البيتيَّة ونحوها ممَّا ليس في عملهِ مشقة كبيرة كالغزل والنسج والتطريز و يشارك النساءُ ازواجهنَّ في كل الحفلات الدينيَّة والمدنيَّة والافراح والولائم واذا جاءَ الرجال والنساءُ وليمة وجدن الدار مزدانة لهم بازلاهار ومعطَّرة بالطيوب وتقدم لهم الاباريق والمناشف لغسل ايديهم قبل الطعام ثم يقدم التبغ مطيَّبًا بالمواد الطرية وسكائرهُ موضوعة في افواه من الفضة او الذبل (عظم السلاحف) . ويجلس الرجال وحدهم على المائدة والنساءُ وحدهنَّ وتقدَّم الوان الاطعمة واكثرها من لحم الصيد ولحم الدندو (الديك الحبشي) معالجة بالبهارات المختلفة وتتلوها الحلويات محلاَّة بسكَّر الذرة وتزين

المائدة بآنية الفضة والذهب . وكؤُوسهم ومعالقهم من الفضة والذهب والذبل وشرابهم من الكاكاو المطيب بالڤانلاً

واذا شبعوا من الطعام قام الشبان منهم للرقص على نغم الموسيقى وبقي الكبار يشربون الى ان تلعب سؤْرة الخمر برؤُوسهم اما الشبان فلا يحل لهم ذلك . وتنتهي الوليمة بتفريق الحلل الفاخرة على المدعوين

هذا وسنعود الى تاريخ الفتح ومقدماتهِ ونتائجهِ وفي ذلك من الحوادث والنوادر ما يكاد يكون كالقصص الموضوعة لغرابتهِ

باب المراسلة والمناظرة

قد رأَينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناهُ ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان . ولكنَّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن براءُ منهُ كلهِ . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما يأتي : (١) المناظر والنظير مشتقَّان من اصلٍ واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيماً كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلَّ ودلَّ . فالمقالات الوافية مع الايجاز تستختار على المطوَّلة

طريقة الاستاذ شانتميس في علاج الحمى التيفوئديَّة

اجتمع مساء اليوم خلق كثير في القسم العملي من مدرسة الطب لسماع خطاب الاستاذ شانتميس في طريقة علاجهِ للحمى التيفوئدية بالمصل الذي اكتشفهُ حديثًا . ولما كان هذا الاكتشاف على جانب عظيم من الاهمية رأَيت ان اقف عليهِ من مستنبطهِ مع انني في باريس متفرغ لامراض العين دون سواها وان ابعث بخلاصة خطبتهِ لتدرج في مجلة المقتطف فيطلع عليها القراء ولا سيما الاطباء منهم

بيَّن الاستاذ اهمية الطرق الجديدة في علاج بعض الامراض بانواع من المصل المقاوم لها وما نتج عن ذلك من الفوائد في هذه السنين الاخيرة وبعد ان ذكر شيئًا عن مصل رو في علاج الدفثيريا والمصل الشافي في لدغ الافاعي الذي وجدهُ احد اساتذة مدرسة ليل والمصل المضاد للطاعون واظهر باجلى بيان ما استفادهُ الانسان من هذه الاكتشافات التي تخلد ذكر

مستنبطها قال ما ملخصهُ ومن جملة الامراض التي لا تزال تفتك ببني البشر فتكًا ذريعًا رغمًا عما يبذلهُ رجال الطب كل يوم في مقاومتها الحمى التيفوئدية . وقد كان هذا المرض منذ عشرين سنة افتك بنا مما هو الآن والسبب في ذلك اننا كنا اذ ذاك نجهل كيفية تفشيهِ ولكن لما عرف الباحثون ان سبب العدوى الاكبر هو ماء الشرب الملوث بمفرزات المصابين بهذا الداء اتخذ اولو الحل والعقد الاحتياطات اللازمة لجلب ماء الشرب من ينابيع نقية وايصالهِ الى المدن في انابيب لا تتخللها المياه العفنة التي تنضح من مجاري المراحيض فقلَّت اذ ذاك الاصابات بهذا الداء والفضل في ذلك عائد الى الانكليز لانهم هم اول من اثبت ان مياه الشرب كانت سبب العدوى وكثرة الاصابات . وقد كان معدَّل الوفيات بهذا المرض ٣٠ فاربعين في المئة قبل اكتشاف طريقة العلاج بالحمامات الباردة اما الآن فباستعمال هذه الطريقة هبط معدل الوفيات الى ٢٥ فما دون . غير ان هذا المعدَّل لا يزال كثيرًا كما تعلمونهُ ولا تزال الاصابات بهذا الداء كثيرة رغمًا عن التفات اولي الامر الى مياه الشرب . وسجلات الحكومة الرسمية اقوى برهان على ذلك . ولا سبيل هنا لسرد اعداد الوفيات الهائلة بهذا الداء في مستشفيات فرانسا فان ذلك يستغرق زمنًا لا يسمح بهِ ضيق المقام فاكتفي بان اقول لكم انهُ في خلال الاثنتي عشرة سنة التي مضت منذ سنة ١٨٨٩ حدث في جيش فرنسا البري وحدهُ ٦٦ الف اصابة بالحمى التيفوئدية انتهت ٩ آلاف اصابة منها بالموت . ثم انني بحثت في احصاء الوفيات بهذا الداء في مستشفيات باريس منذ عهدٍ قريب فوجدت ان متوسطها يتراوح بين العشرين والخمس وعشرين في المئة فترون من ذلك ان هذا الداء لا يزال ثقيل الوطأة على النوع الانساني وانهُ لجدير باهل العلم بذل قصارى الجهد للوصول الى طريقة تخفف هولهُ

وقد طالما اجهدت الفكرة في خلال السنين الثلاث التي مضت للوصول الى الغرض المقصود ولكن كاد القنوط يستولي عليَّ لما صادفت من الصعوبة في بدء الامر للحصول على محلولٍ صرف من المفرزات السامة التي يفرزها ميكروب الحمى التيفوئدية . والسبب في ذلك انني كنتُ استنبت ميكروبات هذا الداء في مرقٍ معقم وابقي المستنبت زمنًا طويلًا ثم آخذهُ لعمل التجارب في الحيوانات ظنًّا بانهُ كلما طالت مدة الاستنبات كثرت كمية المفرزات السامة في المرق والحال اني كنت اسعى الى عكس المراد لانني تحققت بعد التجارب الكثيرة ان مفرزات المكروبات السامة تبلغ اشدها في المستنبت في اليوم الخامس وانها تأخذ في الضعف من بعد ذلك اليوم وعرفت ان السبب في ضعفها تأكسدها من امتزاجها بالهواء الذي كان يملأُ جانبًا من المواعين الكبيرة التي كنت اضع فيها المستنبت . وانتم تعلمون اليوم مثلي ان

الاوكسيجين هو المتلف الاقوى لمفرزات مكروب هذه الحمى . فلما تلافيت هذه الاسباب وحصلت على محلول قوي المفعول من المفرزات السامة بدأت في التجارب بحقن تلك المفرزات في دم الحيوانات وراقبت مفاعيلها ثم اهتديت الى مصلٍ مقاومٍ لتلك المفاعيل (ولم يذكر الاستاذ شيئًا عن ذلك المصل) . ولهذا المصل فائدتان اولاها انهُ مضاد للمكروبات نفسها وثانيتهما انهُ مضادٌّ لمفرزاتها السامة . اما اثبات الفائدة الاولى فسهل الى الغاية وذلك ان يؤخذ ارنبان ويحقن في النسيج الخلوي في اذن كلٍّ منهما كميةٌ معينةٌ من مستنبت مكروبات الحمى التيفوئدية ثم يحقن في وريد احداهما قدر من المصل الذي وجدتهُ وتهمل الاخرى فبعد مضي ساعتين على هذه التجربة تلتهب اذن كلٍّ من الارنبين حيث حقن سائل المكروبات ويتكون في ذلك الموضع سائل مصلي فاذا اخذنا جانبًا من هذا السائل من اذن كلٍّ من الارنبين على حدة وبحثنا فيهِ بالمكرسكوب رأينا ان المكروبات كثيرة تكاد لا تُحصى في السائل المأخوذ من الارنب التي لم تحقن بالمصل وان ليس بين تلك المكروبات سوى العدد القليل من الكريات البيضاء الآكلة الميكروبات اما السائل الذي أُخذ من اذن الارنب التي عولجت بالمصل فعدد الميكروبات فيهِ قليل جدًّا وعدد الكريات البيضاء كثير . واذا اخذنا نقطتين من المصل الالتهابي من اذني الارنبين بعد مضي اربع ساعات على التجربة وبحثنا في كلٍّ منهما على حدة وجدنا مصل الارنب التي لم تعالج قد زادت فيهِ الميكروبات عما كانت عليهِ قبل مضي ساعتين وان ليس هناك اثر للكريات البيضاء . اما مصل الارنب الثانية فلا يكاد يُرَى فيهِ سوى بقايا ميكروبات ضئيلة وعدد من الكريات البيضاء وفي كل كرية آثار من بقايا الميكروبات التي هضمتها . وبعد مضي ست ساعات على التجربة لا يبقى في هذا المصل اثر للميكروبات بالكلية . اما مصل الارنب الاخرى فلا تزال الميكروبات تتكاثر فيهِ . وقد اتيتكم بخمسة ميكرسكوبات فيها مستحضرات من مصل ارنبين اجريت فيهما هذه التجربة صباح اليوم لتروا بعيونكم الفرق الواضح بين الحالتين

والفائدة الثانية من المصل الذي وجدتهُ اي مقاومتهُ لفعل مفرزات الميكروبات لا تكلُّف في اثباتها سوى الاشارة الى هذين الارنبين اللذين ترونهما هنا امامي ففي صباح هذا اليوم حقنت في وريد كلٍّ منهما قدرًا من المفرزات السامة التي تكون في الحمى التيفوئدية وبعد ذلك عالجتُ احداهما بالمصل الذي وجدتهُ وتركت الاخرى بلا علاج . فترون ان التي عولجت بالمصل لا تزال حية وليس في هيئتها ما يدلُّ على انزعاج او سقم وان التي لم تعالج اصبحت في حالة النزع لا حراك فيها

هذا هو فعل المصل الذي وجدتهُ بالحيوان الذي لقح بميكروب الحمى التيفوئدية اما فعلهُ بالانسان المصاب بهذه الحمَّى فاليكم بيانهُ . قد تمكنت منذ سنة من تجربة المصل في مئة مصاب بالحمى التيفوئدية في مستشفيات عديدة في باريس ولكي اكون على ثقة من فعل المصل كنت اختار للتجربة اشد الحوادث وطأَة واشدها اعراضاً وكنت مع استعمال المصل اعالج المصابين بالمغاطس الباردة ايضاً فمن المئة الذين عالجتهم بهذه الطريقة لم يمت سوى ستة ثلاثة منهم حقنوا بالمصل بعد مضي زمن طويل على ظهور الحمَّى فيهم وكانوا مصابين بانثقاب الامعاء والتهاب البريتون كما ظهر من التشريح الرمي وواحد كان مصاباً مع الحمَّى بالتهاب رئوي لعلَّهُ كان سبب الوفاة ومنهم امرأَة ضخمة الجثَّة اصيبت بغنغرينا والسادس حقن بعد اليوم الخامس عشر من ظهور المرض فيهِ ومات فجأَةً وربما كان سبب موتهِ نزفاً معوياً

فيظهر لكم من ذلك انهُ لولا حصول تلك المضاعفات لكان متوسط الوفيات اقل من ٦ في المئة . وقد كنت اختار اشد الاصابات وطأَة لتجربة هذا المصل واضعف المرضى جسماً والمصابين بامراض مزمنة كالسل الرئوي والزهري وما شاكل . وكان بين المرضى الذين عالجتهم بهِ نساءٌ حوامل واسقط بعضهنَّ ولكنهنَّ شفين رغماً عن ذلك

ورب قائل يقول : انك تعالج المرضى بالمغاطس الباردة مع استعمال المصل فكيف نعلم ان كانت هذه النتائج الحسنة التي حصلت عليها مسببة عن المغاطس الباردة او عن العلاج بالمصل فاجيب على ذلك ان الحكومة انتدبتني منذ خمسة عشر يوماً للذهاب الى بعض المدن الصغيرة التي تفشت فيها الحمى التيفوئدية والوقوف على اسباب ذلك فلما انتهيت الى تلك المدن وجدت في احداها مستشفى صغيراً ليس فيهِ ما يلزم من المعدات لعلاج المصابين بالحمى التيفوئدية بالمغاطس الباردة ولما وجدت متوسط الوفيات بهذا الداء كثيراً اشرت الى طبيب المستشفى باستعمال المصل واعطيتهُ كميةً منهُ واليوم اتاني منهُ هذا الخطاب (وارانا الاستاذ الخطاب الوارد اليهِ من طبيب ذلك المستشفى) وفيهِ يقول انهُ عالج خمسة عشر مريضاً بالمصل فشفوا كلهم فيتضح لكم من ذلك ان المصل مفيد جدًّا ولو لم يعالج المريض بالمغاطس الباردة

فيظهر مما تقدم ان فائدة العلاج بهذا المصل لا ريب فيها واظن انني ان لم ادرك الغرض المقصود تماماً فقد قطعتُ شوطاً بعيدًا في الطريق المؤدية اليهِ اما فعل المصل بالحرارة والدورة وبقية الاجهزة فارجئُ الكلام عليهِ الى فرصة أُخرى . انتهى ببعض تصرف

باريس في ٩ نوفمبر ١٩٠١ الدكتور شدودي

هواجسُ ام وساوس

لواعجُ هاجت من قديمٍ بلابلي   فحتَّى متى عن بثها متقاعسُ
فإن تكُ بعدَ البحثِ ليست هواجساً   حقيقيَّةَ الإسنادِ فهي وساوسُ

نعم وكثيرون من قرّاء المقتطف الكرام متى اطلعوا على هذا الكلام حسبوهُ اضغاث احلام واعرضوا عنهُ بوجوهٍ باسرة . وعدُّوهُ لصاحبهِ صفقةً خاسرة . وصاحبهُ يتمنَّى من صميم القلبِ ولبِّ الأَحشاء . أَن يصدقَ ظنُّ هذا الفريقِ من القرَّاء . ويكون ما هجس في صدرهِ . وعجز عن شرح متنهِ وابتلاء سرّهِ . تخليطاً من مسِّ الوسواس . لا اصل لهُ في الحقيقة ولا أَساس

أَرَّقني في احدى الليالي دويُّ المركبات وأَطار نومي وقع الحوافر وكرُّ العجلات فقلتُ في نفسي هذه احدى حسنات التمدُّن الحديث . وقد ساقني هذا الفكر الى مقابلة ما كنا في الماضي عليهِ بما صرنا في الوقت الحاضر اليهِ فالتهيت بهذه المقابلة ريثما يفارقني ضيف الارق الثقيل ويستأْنس النوم النافر ولم أَدرِ أَني استشفيتُ من داءٍ بداءٍ واستجرتُ بالنار من الرمضاء . فان هذه المقابلة جلَت على عينيَّ عروس "النهضة الجديدة" التي هلَّ هلالها في الربع الاخير من القرن الماضي وكان الأَملُ أَن يصير بدراً كاملاً في مستهلِ هذا القرن الجديد . لكنني رأَيتُ هذه العروس على حداثة عهدها وصغر سنّها خشنة الملمس والصوت ومرّة المذاق او تافهة لاطعم لها على الاطلاق وقد نقصها شيءٌ كثير من رونقها السابق وجمالها الشائق فدهشتُ لهذا الانقلاب الطارىء . والتغيير المفاجىء

ثم تفرَّست فيها بعين الامعان لعلي اقف علي سرِّ ما كان واذا بها قد اصبحت بحذافيرها من جنس الرجال — مع انَّ كلمة العروس للرجل والمرأَة — ولم يعد فيها للجنسِ اللطيف صورة ولا مثال . ولهذا فارقتها نعومة الملمس ورخامة الصوت وحلاوة الطعم وجمال الصورة وكل ما لذَّ وطاب . حتى اوشكت أَن تشيبَ وتهرمَ في عنفوان الصبا وشرخ الشباب . وحينئذٍ زال العجب بظهور السبب

فانَّ هذه النهضة الجديدة برزت في مصر وسورية عروساً عليها من العزم طراز بديع ولها من الرونقِ ثوبٌ قشيب وفيها للجنس اللطيف – نساء الشرق – اكبر نصيب . لأَنهنَّ حسرنَ كالرجال عن ساعدِ الجدِّ والاجتهاد ونهضنَ مضافراتٍ لهم على اصلاح الشؤُون وإِسعادِ البلاد . وجرينَ مبارياتٍ لهم في مضمار التحصيل والاكتساب . حتى كدنَ يجلّين في ميدان انارة الأَذهان وتثقيف الالباب . وان كنت في ريبٍ من هذا الكلام . فعليك

بمراجعة المقتطف وغيرهِ من جرائد مصر والشام . فترى كم فيها للجنس اللطيف من آثار اقلام تشهد لهُ بانهُ حاز من التهذيب المنزلة الاولى . وكان لهُ في النهضة الجديدة اليدَ الطولى . فما الذي ثناهُ الآن . عن اطراد الجري في هذا الميدان . حتى عطلت من حلى اقلامهِ صدور الجرائد . ولم يعد يصل النهضة الجديدة من فضلهِ باقلّ عائد

هذا السؤال اطلتُ فيهِ تأمُّلي وتفكُّري فلم يفتح عليَّ بجوابٍ مقنعٍ تسكن اليهِ نفسي ويرضاهُ عقلي . ولما كان اليوم التالي ضمني وبعض الاصدقاء مجلس ادبٍ فعرضت عليهم سؤالي لعلي اظفر من احدهم بجوابٍ يصيب كبد الصواب ويميط عن محيا الحقيقة حجاب الارتياب . فقال واحدٌ منهم " ان علَّة انقطاع بنات حوَّاء عن مباراة الرجال في حلبة الإنشاء انَّ انامِلهنَّ التي كان لمسُ الحرير يدميها من قديم الزمان زادت ترفاً ونعومة جرياً على ناموس النشوء والارتقاء حتى اصبحت لا تقوى في هذه الايام على تحمُّل الطف انفاس الهواء فكيف تستطيع اهتصار اليراع واجتذاب القلم . وتأمن خدشاً من القصب يسيل الدماء او جرحاً من الحديد شديد الألم"

فاجابهُ الثاني " ليس الامر كما ذكرت بل ان الجنس اللطيف عندنا مشغول في هذه الايام عن صناعة القلم بما هو اهمُّ شأناً وامسُّ حاجةً وهو استيفاء شروط التمدن الحديث التي منها ان تُعنى الفتاة او السيدة بازياء الملابس والزين المختلفة وتجهد نفسها في التظاهر بالغنى والعظمة وتترفَّع عن الاهتمام بالقصبة التي لا شأن لصاحبها بين المتمدنات وبالنتيجة لا يكون من شأنٍ لصاحبتها عند المتمدنين . فلا تَلُم بنات الشرق او نساءهُ اذا اغفلنَ صناعة التحرير والانشاء وطلَّقنَ الصحف والدفاتر . والاقلام والمحابر بل لُمِ الايام التي قضت عليهنَّ بان يتمسكنَ بالاعراضِ ويتركن الجواهر . واللبيبُ من يجاري الزمان ويداري . ويلبس لكلِّ حالةٍ لبوسها كما قال بيهس الفزاري"

فقال الثالث "كلا كما مخطئ غير مصيب وليس للحقيقة في كلامهِ نصيب فليس المانع هذا ولا ذاك ولم يكن قط للكتابة وجود حقيقيٌّ عند الشرقيات حتى نجهد انفسنا بالبحث عن علةِ زوالها وانطماس معالمها . بلى وُجدت كما هي الآن او اكثر قليلاً ولكن على صورة عارضةٍ كان منشأُها اغراضٌ في نفوس اللواتي تعمَّدنها وتحرَّين الجري عليها حتى ادركنَ منها ما صبونَ اليهِ وحينئذٍ طلَّقنَ اليراع البتات ودعونَ على شمل الورق والحبر بالتفريق والشتات وقال الدهر آمين"

وقال الرابع وقد اسرف في التحامل " ووسَّع ذمَّتهُ " في الاتهام "وانا ازيد على هذا باني

فحصتُ اكثر ما نُسِب الى نسائنا من المقالات في صحف سورية ومصر وامتحنتهُ على الطريقة التشريحية التي اشار بها مرة احد اطبائنا (١) البارعين فوجدتهُ طبق ما ذهب اليهِ الطبيب المذكور اي انَّ يد الرجل اسدت فيهِ والحمت وأسرجت وألجمت . ولم يكن فيهِ لبنات حوَّاء سوى شرف الانتحال . الذي اتخذنهُ ذريعةً لادّعاء حقِ المساواة بالرجال . ومتى صحَّ امرٌ مبنيٌّ على الباطل . وادّعاءٌ من حليةِ الحقّ عاطل"

فقال الخامس " اما وقد طال الجدال وكثر في هذه المسألة القيل والقال فلنرفعها الى حَكَمٍ يدرك منها وجه الصواب ويقدر فيها على فصل الخطاب ولا ارى من يستطيع ان يفصل الخلاف على وجه الانصاف . ويقضي بحكم لا يقبل التمييز والاستئناف . مثل حضرة الكاتب النحرير والنطاسي الشهير الدكتور شميل" . فرضي الباقون بما اقترحهُ هذا . اما انا فأُكرهتُ عليهِ بحكم الاغلبيَّة . وها قد رُفعت المسألة الى حضرة الحكم المذكور . واخاف ان يجيء حكمهُ العادل مخالفًا لما يريدهُ الجنس اللطيف والمتشيّعون لهُ الاَّ اذا سبقت احدى النساء او احد المدافعين عنهنَّ الى نقض الاسباب المتقدمة واثبات سبب آخر اوجب انقطاعهنَّ عن الانشاء . ودعا الى مخالفتهنَّ ايَّانا في طريق التقدم والارتقاء . فارتفعنَ الى اسفل وتقدمنَ الى وراء

ويسوءني القول انهُ اذا انقضى شهرٌ على صدور هذه المباحثة ولم يرد عليها دحض او دفع ولا تكرَّم حضرة الدكتور شميل بحكمهِ فيها صحَّ ما قالهُ الرابع عند الخاصّ والعام . وهي نتيجةٌ مؤلمة عسى انها لا تصح ولو في الاحلام

القاهرة اسعد داغر

رواية جذيمة والزَّبَّاء

لجانب المقتطف الاغر

ان يفت المرء حظهُ الماديّ من الكتابة والتأليف في بلاد غشيها ما غشيها ممَّا يفسرهُ قول المقتطف الاغر في عدد شهر نوفمبر الجاري اثناء الكلام على رواية ريحانة النفوس اذ قال " ولكن شتان في النجاح المالي بين الدكتور الاميركي والدكتور اللبناني لان الاول يكتب لابناء اللغة الانكليزية وهم مئة وعشرون مليونًا من المتعلمين المتهذبين والثاني يكتب لابناء اللغة العربية وقراء الكتب منهم لا يبلغون عشرة آلاف " فلا يفتهُ حظهُ الادبي بعرفان ذوي

---

(١) اشارة الى ما كتبهُ جناب الدكتور سليم بك موصلي في الجزء السادس من سنة المقتطف السادسة

الفضل والنبل فضل عمله وتقديرهم قدرهُ بل لن يفوتهُ ذلك وفي الناس اولو بقية من ذوي الفضل والنبل — والعاقل الاديب من اذا ظفر بهذا الحظ الادبي رأى انهُ قد فاز فوزًا عظيماً واجتنى كل ثمرات اتعابهِ ووفاهُ الله اجرهُ ذلك لانهُ يجد في المحمدة خصوصاً اذا كانت خالصة من شوائب الرياء لذة معنوية او مسرَّة نفسية لا يدرك عشر معشارها امثال أُولئك الذين ينشرون بين ظهرانينا من حين الى حين مطبوعات يسمونها كتباً ومؤلفات لا فخر فيها ولا محمدة بل هي المخزيات بعينها ثم تروج بضاعتهم وتربح صفقتهم اما بحكم السمعة والصيت الكاذبين او بطبيعة ميل السواد الاعظم منا للسخرية والهزء — اقول — وعلى نسبة اقدار ذوي الفضل الذين يزنون الاعمال و يقومونها بقيمتها وتفاوتهم في درجات العلم والعرفان تتفاوت ايضاً تلك اللذة المعنوية مراتب ومنازل وتختلف بالتبعية لهم في القيمة والمقدار . واذا كان احد الكتَّاب والمؤلفين قد ظفر بالنصيب الاوفر من الحظ الادبي وفاز باعظم لذة معنوية لا تعدلها بقية الملاذ مجتمعة فانا هو ذاك بذكركم اياي وروايتي (جذيمة والزبَّاء) في المقتطف الجليل — نسخة شهر نوفمبر — باحسن ما يُذكر بهِ كاتب وباجمل ما يقرظ بهِ كتاب — و يعلم الله اني حين اقدمت على وضع تلك الرواية حتى فرغتُ منها ما كنتُ لاطمع في مثل هذا الفخر وكل ذلك الفضل الذي اولانيهِ المقتطف ومنشئاهُ اللذان لو كان لغيرهما من كتاب الجرائد فضل على الناس في تنمية الملكات وتهذيب الكتابة فهما قد علما الناس السحر فلا بدع اذا تقلدت هذه المنة قلادة شرف وتطوقتها طوق فخر دونهما العقيان واطواق اللؤلؤ والمرجان . اما الشكر عليها فان سكت عنهُ فعذري أني لستُ بالغاً منهُ ما أُريد فتقبلاهُ والعذر عند كرام الناس مقبول

هذا وسواء افلحت باقبال الناس على تلاوة الرواية او لم افلح بادبارهم عنها ويكون ذنبها عند التلاوة صوغها بحيث علمتم ولدى التمثيل خلوها من دعاوي العشق والغرام فلن يقعدني ادبارهم او انصرافهم عن الحذو على مثالها والنسج على منوالها كلما سنحت لي فرصة ما دام يكون نصيبي عرفان امثالكم قيمة ما نحسن مع اني بفضل الله قد ظفرت ايضاً باقبال كثير من الادباء على تلاوتها اقبالاً يفوق اقبالهم على غيرها من الروايات

واسمحو لي حفظكم الله بتصويب عبارة نقلها المقتطف الاغر من الرواية فقد كتب " ان الانسان مع المحجبة الجاهلة يعيش اكثر من نصف عمرهِ الخ " والصواب هو " لا يعيش اكثر من نصف عمرهِ الخ"

محمد حليم بالمعارف

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

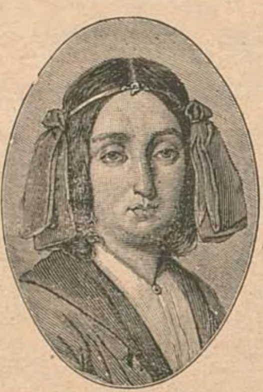

جورج ساند

هي ارمنتين لوسيل اورور المعروفة باسم جورج ساند الكاتبة الفرنسوية من نوابغ الطبقة الاولى بين الكتَّاب الفرنسويين . ولدت بباريس سنة ١٨٠٤ وتوفي ابوها وهي طفلة فاقامت مع جدتها لابيها وهي اصلاً ارملة الكونت هورن ابن الملك لويس الخامس عشر وابنة المارشال ساكس بن اغسطس القوي منتخب سكسونيا وملك بولندا ففي عروق جورج ساند شيء من دم الملوك وكانت تفتخر بذلك . ويقال انها ولدت في ليلة راقصة ولما أُخبر ابوها بولادتها قال لقد ولدت بين الازهار والاوتار فسيكون السعد طالعها

وكانت جدتها تقيم في قصر لها في نوهان بولاية بري في اواسط البلاد حيث المعيشة جبليَّة طبيعيَّة فنشأت على حب الطبيعة ورسخ ذلك في نفسها رسوخاً لم تمحهُ الايام . هناك عرفت اساليب الفلاحين ودرست اخلاق الناس درساً بقي في ذاكرتها لتستحضرهُ حين الحاجة اليهِ وتدمجهُ في ما الفتهُ من الروايات

وكان لابيها مشاركة في فنون الادب و يظهر من مكاتيبهِ لها انهُ كان بارعاً في الوصف ومعرفة طبائع الناس فورثت ذلك منهُ وهي القائلة " الاخلاق موروثة في الغالب . اذا اراد القرَّاء ان يعرفوني فليعرفوا ابي " ولما توفي ابوها كفلتها جدتها على ما تقدَّم لانها انفت ان تربى

مع امها وهي من اصل وضيع دون اصل ابيها . وكان لشيخ القرية التي فيها جدتها المام ببعض العلوم لانهُ كان اصلاً رئيس دير فعني بتعليمها وهو من الذاهبين مذهب روسو في وجوب ترك الاولاد الى الطبيعة واغرائهم بحبها والتعلم منها فجرى على ذلك في تعليمها وكانت عصبية المزاج يصيبها الاغماء وترى رؤًى تتجلى لها كأَنها حقائق فلم تنخدع بها بل علمت انها من هواجس الخيال

ولما بلغت الثالثة عشرة أُتي بها الى باريس ووُضعت في دير الراهبات الاوغسطينيات الانكليزيات فبقيت فيهِ سنتين لم تخرج الى خارج اسوارهِ وهو انقلاب سريع من معيشة البر والخلاء الى معيشة الدير ضمن الاسوار لكن طبعها كان سلساً يقنع بكل شيءٍ

وسنة ١٨٢٠ اعادتها جدتها اليها فعادت الى المعيشة الخلوية الى الركوب والصيد والجولان في الحراج وبين المروج الى محادثة الفلاحين وسماع اقاصيصهم وقرأَت مختلف الكتب مثل ارسطو وليبنتز ولوك وكنديلاك في الفلسفة ورنه وتشيلد هرلُد في الادب وتركت الزهد جانباً ورأَت ان التدين الصحيح لا يقضي بالانقطاع عن العالم ومهامهِ وبقيت على وداد صديقاتها الاوَل من راهبات الدير الذي ربيت فيهِ حتى عزمت على العودة اليهِ حينما توفيت جدتها لكن اصدقاءها صرفوها عن هذا العزم فتزوجت برجل اسمهُ ديدڤان وولدت لهُ ولدين ابناً وابنةً ولم يكن من ذوقها وهو ضابط ترك الجيش وانقطع الى الفلاحة فكان يهتم بارضهِ ومواشيهِ اكثر مما يهتم بزوجتهِ وولديهِ فصبرت عليهِ الى ان عيل صبرها فتركتهُ برضاهُ وتركت لهُ املاكها واخذت ابنها ومضت الى باريس تفتش عن عمل تعيش منهُ لان زوجها قطع لها ستين جنيهاً فقط في السنة فرضي دولاتوش محرر الفيغارو ان تكتب لهُ بعض المقالات فلم يبلغ كسبها في الشهر سوى خمسة عشر فرنكاً وكان في ادارة الفيغارو شاب اسمهُ جول ساندو فاتفقت معهُ على ان يؤَلفا رواية فالفاها معاً ونشراها بعنوان روز وبلانش Rose et Blanche ونسباها الى جول ساند اسم اشتقاهُ من اسمهِ ثم الَّفت رواية أُخرى ولم يشأْ ان يشاركها فيها فسمت نفسها فيها جورج ساند ومن ثمَّ عُرفت بهذا الاسم

وكان القرَّاء قد ملُّوا قراءة الروايات التاريخية ولم تكن روايات بلزاك الاولى من طبقة الروايات التي انشأَها بعدئذٍ فلما نشرت روايتها انديانا تهافتوا عليها تهافت الجياع على القصاع لانهم رأَوا فيها غرام روسو وتصوُّر سنت بير وعظمة شاتوبريان مجموعة في صور عصرية حيَّة فرقيت الى اوج الشهرة في يوم واحد وجاءها محرر الفيغارو وكان اول من طرح نفسهُ عند قدميها واستغفرها عن عدم عرفانهِ فضلها . وجاهر العلماء باستحسانهم اسلوبها وبحث الجمهور عن اصلها وفصلها حتى عرفوا اسمها ووفوها حقها من الاكرام

وبعد شهرين نشرت قصة ڤالنتين فاثبتت ان فيها مبدأً فياضاً لا تنفد جدده ولا تخلق ديباجتهُ جلبابهُ الاختبار الذي اختبرتهُ بتزوجها رجلاً لا تحبهُ وحلاهُ ابدع صور الخيال المنتزعة من جمال الطبيعة ومجالي عرائسها

ثم نشرت روايتها الثالثة للي Lélie وهي في حالة من اليأس لا يعلمها الاَّ من وقع فيها وهويت رجلاً ومضت معهُ الى ايطاليا ثم ندمت على ما فعلت وكأنَّ التقادير ساقتها الى ذلك لكي تكتب ثلاث روايات عن اختبارها فيهِ كما كتبت روايتيها الاوليين واصفة فيهما اقتران المرأة بمن لا تهواه

وتتابعت رواياتها بعد ذلك وبعضها آخذ برقاب بعض ومالت الى مذهب الفلاسفة الموحدين القائلين بقياس العقل لا بقياس التعليم بعد ان كانت من اللواتي غلبت عليهنَّ الوساوس

وعادت الى قصرها في نوهان فصار نادياً لرجال العلم والفضل من الكتَّاب والفلاسفة وكانت مضيافة ترحّب بهم وتحلهم على الرحب والسعة ورواياتها تنشر تباعاً كأنها ينبوع غزير لا يغيض ماؤهُ وبقيت على التصنيف الى ان ادركتها الوفاة في السابع من شهر يونيو سنة ١٨٧٦ وجُمعت مؤلفاتها وطبعت في كتاب واحد فبلغ مئة وعشرين مجلداً

وقد الَّف الناس كتباً في انتقاد رواياتها واساليبها في الانشاء وخلاصة ما اتفقوا عليهِ ان مصنفاتها تنقسم الى ثلاثة اقسام حسب ادوار حياتها ففي الدور الاول كانت مستاءة من اقترانها برجل لا تحبهُ ولا يحبها فاعربت في رواياتها الاربع الاولى عمَّا يخالج ضميرها ونسجتها على منوال الروايات الغرامية المشحونة بالغرائب ذاهبة فيها مذهب الكتَّاب في ذلك العصر . وفي الدور الثاني كانت قد عاشرت علماء بلادها وفلاسفتها واطلعت على آراء رجال السياسة والدين فنحت في رواياتها هذا النحو فترى فيها الآراء الفلسفية والسياسية والدينية . وفي الثالث انقطعت الى المعيشة الخلوية الساذجة وعاشرت الفلاحين القرويين فضمَّنت رواياتها وصف احوالهم وما فيها من بساطة المعيشة . ويضاف الى ذلك تاريخ حياتها وروايات اخرى صنفتها ولم تنهج فيها منهجاً خاصًّا

وقد امتازت بخطة جديدة اختطتها لنفسها وهو انطاق الفلاحين وغيرهم من اهل السذاجة بالكلام الذي ينطقون بهِ عادة لا بكلام العلماء ورجال السياسة . وعبارتها في ذلك وغيرهِ بسيطة فصيحة خالية من التعقيد والركاكة . لكنها لم تفلح في اختراع القصص وتدبير الحيَل لكي تتعلَّق نفس القارىء بما يقرأهُ ويرى فيهِ شيئاً جديداً كلما كرَّر قراءتهُ حتى قيل ان من يقرأ رواية من رواياتها لا يهتم بقراءتها مرةً اخرى هذه اكثر مغامز الضعف فيها ومع ذلك

لها المقام الارفع بين كتّاب العصر

نصائح في تربية الاطفال

(١) لا تزعج الطفل بالصياح والصراخ ولا تدخل بهِ مكانًا كثر اجتماع الناس فيهِ وعلت جلبتهم لان السكينة لازمة لهُ نهارًا وليلاً

(٢) لا تنتهر الطفل ولا تزجرهُ ولا تخفهُ لان كل فعل فجائي يضرُّ بهِ فيشبُّ عصبيًّا سريع التأثر

(٣) لا تضرب الطفل قصاصًا لهُ وقد يجوز الضرب للولد ولكنهُ لا يجوز للطفل

(٤) ابذل جهدك في كل ما يسر الطفل فيشب وطبعهُ مائل الى البهجة والسرور فترضيهِ الحياة ويسرُّ والديهِ والذين يعاملونهُ

(٥) لا ترفع الطفل بذراعيهِ ولا تحاول جعلهُ يقف على قدميهِ قبلما يشتد كعباهُ وحينما يشتد كعباهُ وقدماهُ يحاول من نفسهِ الانتصاب والمشي

(٦) عوّد الطفل التغوط في اوقات مخصوصة فيصير يطلبهُ فيها فقط

نصائح للمرضع

(١) على المرضع ان لا تحمل همًّا وان تبعد عن كل اسباب الهم والغم

(٢) عليها ان تأكل اربعًا في اليوم طعامًا كافيًا ومغذيًا ولكنهُ ليس كثير الدسم ولتكثر من شرب اللبن واكل الاثمار الطرية الناضجة وتقلل من شرب الشاي والقهوة وتمتنع عن شرب المسكرات على انواعها لانها تضرُّ بها وبرضيعها ويمكنها الاستغناء عنها باللبن والمآكل اللطيفة المغذية السهلة الهضم

(٣) علي كل والدة ان ترضع طفلها من ثدييها الاَّ اذا منعها الطبيب عن ذلك لضعفها او انحراف صحتها . والرضاعة نافعة للام وللطفل معًا

غسل احرمة الصوف

ضع ملعقتين كبيرتين من البوركس (البورق) وقدر نصف رطل (ليبرة) من الصابون المحلول في الماء في اناء كبير من الماء البارد ومتى ذاب البوركس والصابون في الماء ضع الحرام

فيهِ واتركهُ ليلة كاملة وافركهُ جيدًا في الصباح وارفعهُ من الماء واتركهُ فوقهُ حتى ينضح الماء منهُ ثم ضعهُ في ماءٍ نقي واغسلهُ بهِ وغيّر الماء مرتين ثم انشرهُ لينشف ولا تعصرهُ ابدًا

نزع لطخ الدم

قد تخيط المرأة شيئًا ابيض لتبيعهُ وتغرز الابرة في اصبعها فتدميها ويتلطَّخ المخيط بدمها فيخسر من ثمنهِ . ويمكن ان تزال عنهُ لطخ الدم بان يذاب النشاء في الماء ويوضع على اللطوخ طبقة سميكة فيزيل اثرها . او تدهن اللطوخ بمذوَّب الصودا او البوتاسا ثم بمذوَّب الشب الابيض

نساؤُنا والانشاء

في هذا الجزء في باب المراسلة شبهة بل تهمة أُلقيت على حضرات السيدات اللواتي مارسنَ صناعة الانشاء مدةً قصيرةً ثم انقطعنَ عنها سيقرأْنها و يصوّبنها او يخطئنها ولهنَّ في ذلك رأيهنَّ . وليس من غرض الكاتب الفاضل الحط من كرامتهنَّ في ما كتبهُ في باب المراسلة وانما غرضهُ حثهنَّ على مجاراة الرجال في مضمار الانشاء لان الجري فيهِ مباح لهنَّ كما هو مباح لاخوتهنَّ وازواجهن . وعلى مَ يقوم من الفرنسويين مثل مدام ده سفنيه التي اوردنا ترجمتها في الجزء الماضي وجورج ساند التي اوردنا ترجمتها في هذا الجزء ولا يقوم من الشرقيات بنات مصر والشام مؤلفات مثلهما . ولا يحق لنا ان نتوقع قيام مئات من المؤلفات عندنا كما قام عند الفرنسويين والانكليز والاميركيين ولكن يحق لنا ان تكون نسبة المؤلفات عندنا الى المؤلفين كما هي عندهم والاَّ فنساؤُنا مقصّرات عن مجاراة رجالنا . وهذا الحكم خاص بالمسيحيين الذين انشأُوا المدارس لبناتهم كما انشأُوها لبنيهم واما غيرهم من الذين يمنعون تعليم البنات او لا يهتمون بهِ كثيرًا فهذا الحكم لا يتمشى عليهم

وهذا القول لا يغير جوهر التهمة التي مفادها ان ما نشر منسوبًا الى النساء كتب اكثرهُ الرجال وانتحلهُ النساء او نُشر تحت اسمهنَّ . ولا بدَّ ان تحدَّد اقلام الكاتبات الفاضلات لدفعها قبل ان يبدي احد حكمهُ فيها وسنرى هل يكتبن شيئًا في دفعها او يرضين من الغنيمة بالاياب وموعدنا الجزء التالي

باب الزراعة

تقاوي القمح

لا شيء يمضي العزيمة كالمناظرة ولذلك نرى مجلة الجمعيَّة الزراعيَّة ومجلة نقابة اتحاد مزارعي القطر قد زادتا فوائد من حين شرعنا في المناظرة . وفي الجزء الاخير من مجلة النقابة مقالة للمسيو اغاتون موضوعها قمح البذار واختياره وتحضيره ابان فيها ان لا بدَّ لانتقاء تقاوي القمح من استعمال آلات الفرز التي استنبطها الاوربيون لهذه الغاية قال " ومن المقرر الثابت ان قوة الانبات في النبات تتوقف في معظم احوالها على جودة البزور وشدتها . ولبيان تأثير الحبوب الكبيرة والصغيرة في الحاصلات من زيادة او نقصان عمل المسيو ديرز من اكابر الملاَّك الفرنسويين ومهرة مزارعيهم تجارب مفيدة في اراضيهِ ببلدة كابل التي زرتها عام ١٨٩٨ واعجبت بمحصولاتها وهي في مزارعها ومن هذه التجارب ان المسيو دبرز زرع الارض بحبوب كبيرة وصغيرة آتية من نوع واحد من انواع القمح فكانت النتيجة بالتطبيق على المكاييل ومراعاة النسبة بينها وبين المكاييل الفرنسوية كما يأتي

ان القمح الاصفر ذا السنابل المربعة كان محصول الفدان الواحد منهُ من التقاوي الكبيرة البزر ١٧ اردبًّا من الحب و ١٦ حملة من التبن . ومن التقاوي الصغيرة البزر ١١ اردبًّا من الحب و ١٠ حملات من التبن وعليهِ فالتقاوي الكبيرة البزر زاد محصولها على محصول التقاوي الصغيرة البزر ستة ارادب حبًّا من الفدان وست حملات تبنًا

وقد اتضح لهُ من تجربة أُخرى كانت التقاوي فيها من قمح آخر ان محصول الفدان من التقاوي الكبيرة الحب كان ١٣ اردبًّا قمحًا و١٤ حملة تبنًا . ومن التقاوي الصغيرة الحب كان المحصول ٦ ارادب قمحًا و ٧ حملات تبنًا

فاذا نظرنا الى نتيجة هاتين التجربتين تقرَّر لدينا ان المزارع الذي يهمهُ زيادة المحصول من اراضيهِ ينبغي لهُ ان لا يدع في التقاوي حبوبًا صغيرة بل يقتصر على زرع الحبوب الكبيرة. واذا كان عند المزارع مقداران متساويان من القمح المعد للزرع وحبوب المقدارين متساوية حجمًا واحدهما اثقل من الآخر فزرع الثقيل منهما خير من زرع الخفيف . ولثقل القمح اهمية عظيمة جدًّا والقمح البلدي يزن الاردب منهُ من ٣٣٠ الى ٣٤٥ رطلاً فاذا كانت حبوبهُ

وحبوب غيرهِ متساوية الحجم فالواجب ابتياع ارجحهما وزناً واذا كان امام الانسان نوعان من القمح متشابهان الاَّ انهما مختلفان في المصدر فوسيلة الوزن التي هي من ايسر الوسائل احسن واسطة لمعرفة اجودهما . والطريقة لذلك هي ان تؤخذ قبضة من احد الصنفين وينتخب منها ١٠٠ حبَّة تلقى في كوبة مملوءة ماء مضافاً اليهِ شيء من الملح ثم يعمل مثل ذلك بقمح الصنف الثاني وينظر بعد ذلك الى الحبوب التي تطفو على سطح الماء في الكوبتين فما كان منها اقل عدداً من الآخر كان الصنف الذي هو منهُ اثقل واجود . وللاتقاء من الوقوع في الخطاء تعاد العمليَّة مرتين او ثلاث مرات ويؤخذ بدلاً من المئة حبة مئتا حبة

زراعة الليمون

كتب المستر بونابرت مقالةً مسهبة في هذا الموضوع في مجلَّة الشركة الخديوية الزراعية نلخص منها ما يأتي

ان اشجار الفصيلة الليمونية تجود في القطر المصري وتثمر في اوقاتها ولا سيما البرتقال واليوسف افندي والليمون الحامض (الاترج) اما البرتقال فيزرع في كل انحاء القطر ولا سيما في بساتين القاهرة وهو ثلاثة اجناس البلدي واليافاوي والدموي او المالطي اما البرتقال البلدي فاكثرها انتشاراً وثمرهُ اصغر من ثمر اليافاوي واكبر من ثمر الدموي وقشرهُ رقيق وعصارهُ كثير وينضج باكراً ومنهُ نوع شديد الحلاوة لبهُ اصفر يعرف بالبرتقال السكري

واليافاوي أُتي بهِ من يافا وهو اقل انتشاراً من البلدي واثمارهُ اكبر من اثمار البلدي والدموي وقشرتهُ سميكة خشنة وعصارهُ اقل من عصار البلدي ويتأخر نضجهُ عن نضج البلدي ولكنهُ يحفظ زمناً طويلاً بخلاف البلدي فانهُ لا يحفظ الاَّ زمناً قصيراً

والدموي او الاحمر اصغر من الجنسين السابقين والذُّ طعماً منهما ولبهُ احمر وحينما ينضج تتلوَّن قشرتهُ بلون احمر ايضاً ويتأخر نضجهُ عن غيرهِ

وينمو البرتقال في كل الاراضي ما عدا الرمليَّة ولكنهُ لا يجود الاَّ في الاراضي الشديدة الخصب العميقة التربة لكي تغور جذورهُ الطويلة فيها ولا بدَّ من ان تكون الارض كثيرة السماد

ويزرع البرتقال بزوراً او يطعَّم تطعيماً في شجر النارنج او الاترج وقد يزرع بالترقيد . اما البزور فتزرع في اواخر فصل الشتاء او ابتداء الربيع في المشاتل او في الصناديق ولا بدَّ من ان تؤخذ البزور من الاثمار مباشرةً وتزرع قبلما تجف لانها تفقد قوة الانبات اذا جفَّت وتزرع صفوفاً بين الصف والاخر ست عقد الى تسع وبين البزرة والاخرى ٣ عقد الى ٤ فتنبت

سريعاً ولا بدَّ لها من سترة تظللها من الشمس من شهر مايو الى سبتمبر وتصنع هذه السترة من خوص النخل . وينقل النبات وعمرهُ سنتان الى ارض كثيرة السماد في المشتل نفسهِ ويجعل البعد بين كل نبتة واخرى ٢٠ عقدةً او نصف متر وتترك فيها سنتين اخريين . وتنقل من هناك الى البستان الذي يراد زرعها فيهِ . ومتوسط البعد بين الشجرة والشجرة اربعة امتار لكنهُ يزيد او يقلُّ حسب خصب الارض وقلة خصبها

ولا بدَّ من الاعتناء باشجار البرتقال وقت نقلها من المشاتل لغرسها حتى لا يكسر جذرها الاوسط ولا ينزع التراب الذي بين جذورها واذا كسر جذرها الاوسط وجب بريهُ بسكين ماضية . ويوضع في كل حفرة تراب ناعم وسماد بلدي مختمر قبل غرس الشجرة فيها ثم تروى الاشجار حال غرسها

ويمكن تطعيم البرتقال في شهر مارس او في شهر اغسطس وقت بداءة الفيضان . وهو يطعَّم اما في النارنج او في الاترج (الليمون المالح او الحامض) ويفضل النارنج على الاترج لانهُ اقوى واسهل انباتاً من البزر واطول اقامةً في الارض . ولا بدَّ من أن تكون الاشجار التي يراد تطعيمها قوية عمرها ثلاث سنوات على الاقل ويتم التطعيم والشجر في المشتل ثم ينقل في السنة التالية الى البستان ويكون التطعيم في ساق الشجرة الاصلي ويحسن قطع بعض الاغصان من الشجرة التي يراد اخذ الطعم منها لكي يقوى البرعم الذي يراد نقلهُ والتطعيم بهِ . والبرتقال المطعَّم تنضج اثمارهُ قبل اثمار البرتقال البزري لكن اثمار البزري اجود من اثمار المطعَّم طعماً واكبر منها حجماً

وتتوقف كثرة الثمر على الخدمة . ويزهر البرتقال ويثمر من غير خدمة ولكن اذا اعتُني بخدمتهِ كثر ثمرهُ كثيراً . فلا بدَّ من حرث ارضهِ وعزقها جيداً ونزع الحشائش منها . ويجب ان لا يعمَّق الحرث الاَّ بعيداً عن الاشجار واما بقربها فلا يعمَّق لئلاَّ تنزع منها الجذور السطحية الصغيرة وهي كثيرة ولا بدَّ من حفظها . وما من شجر يستفيد من السماد اكثر من البرتقال . ويستعمل لهُ السماد البلدي (زبل المواشي) في هذه البلاد ويجب ان يكون مختمراً جيداً وهو يضاف الى الارض في شهر فبراير مرةً كل سنتين ومتى اخذت الاشجار تحمل تسمد كل سنة

ولما كان البعد كثيراً بين اشجار البرتقال وكان حملها يتأخر وجب ان تزرع الارض بينها خضراً او نباتات أُخرى كالخيار والبطاطا الحلوة والبرسيم والبنفسج لكي لا تضيع فائدتها . والعزق الذي تقتضيهِ هذه المزروعات يفيد اشجار البرتقال على شرط ان تسمد جيداً ولا بدَّ

من الاعتناء بالري ويجب ان لا يكون الماء غزيرًا في زمن الازهار

ويتفرع من اشجار البرتقال فروع كثيرة جانبية فيجب نزعها كلها ويترك للشجرة ساق واحدة لا فروع فيها الى علو خمس اقدام وتقطع هذه الفروع بسكين ماضية من جانب الساق تمامًا حتى ينمو القشر فوق القطع ويغطيهُ ومتى بلغت الاشجار اشدَّها تقطع منها الاغصان التي ظهر فيها اليبس او التي نمت على شكل غير حسن

ويبتدئ موسم البرتقال في القطر المصري من اواسط نوفمبر او اوائل دسمبر ويبقى الى ١٥ فبراير وبعضهُ يبكر عن ذلك وبعضهُ يؤَخر واجودهُ من ١٥ يناير الى ١٥ فبراير واذا بلغت اثمار الشجرة ٤٠٠ برتقالة فذلك حسن في هذا القطر

ولا بدَّ من الاعتناء بالاثمار حال جمعها لكي لا تترضض ولا سيما اذا اريد نقلها من مكان الى آخر ولذلك يصعد قاطفها على سلم ويقطفها بيدهِ من الاشجار العالية ويترك جانبًا من العرق في كل ليمونة

واذا اريد شحن البرتقال الى الخارج وجب ان يقطف وهو اخضر ولكن بعد ان يتكامل نموهُ ولا داعي لان يترك على الشجرة حتى يصفر لانهُ يصفر من نفسهِ بعد قطفهِ . وينشَّف البرتقال قبل وضعهِ في الصناديق وتلف كل برتقالة منهُ بورقة وتفضَّل اقفاص الجريد على صناديق الخشب ويكون طول الصندوق منها قدمين ونصف قدم وعرضهُ قدمًا ونصف قدم وعلوهُ كذلك ويجعل حاجز في وسطهِ من الجريد ايضًا ليقل هز البرتقال فيهِ . ولا بدَّ من وضع الثمر بعضهُ بجانب بعض تمامًا حتى لا يتحرك بسهولة . ومن ان يكون البرتقال الذي يوضع في الصندوق الواحد من حجم واحد ومن درجة واحدة في النضج

واذا لُفَّ البرتقال بالورق الرقيق ووضع في صندوق من الخشب صفوفًا بينها رمل حفظ زمانًا طويلاً

المزروعات المصرية

اهم المزروعات المصرية المعتمد عليها الآن القطن والقصب والقمح والشعير والذرة البطاطس والفول والبرسيم ولا بدَّ من ان يُعرف كم يأخذ كل منها من غذاء الارض ولا سيما ن عنصر النيتروجين القليل الوجود فيها والذي لا بد منهُ للمزروعات اما الفول والبرسيم فاكثر ا يأخذانهِ من هذا العنصر مستمدٌّ من الهواء ولذلك لا يفقران الارض كثيرًا وما بقي من

المزروعات تختلف نسبة ما تأخذهُ من الارض من النيتروجين وغيرهِ من العناصر الجوهرية على ما ترى في هذا الجدول

	النيتروجين	الحامض الفصفوريك	البوتاسا	الجير
القطن	٥٤	١٩	٤٠	٢٥
قصب السكر	١٢٧	٤٤	٢٩٨	٧١
القمح	٤٣	٢٣	٣٦	١٦
الشعير	٤٧	٢٣	٥٤	١١
الذرة	٦١	٣١	٦٦	١٤
البطاطس	٢٦	١٣	٤٨	٢

هذا ما تأخذهُ زراعة كل فدان بالارطال المصرية من تراب الارض وواضح من ذلك ان القصب يفقر الارض اكثر من غيرهِ من المزروعات ولذلك لا يزرع الاَّ في الارض الجيدة التي اتقنت خدمتها وكثر سمادها ويتلوهُ في ذلك الذرة والقطن. والذرة تفقر الارض اكثر من القطن ولكن يؤكل جانب منها في الارض وتبقى حبوبها في البلاد واما القطن فينزع كلهُ من الارض حطبهُ وقطنهُ وبزرهُ واكثر النيتروجين في البزر فتخسرهُ الارض كلهُ ولكن لو عصر الزيت من البزر في القطر المصري واُطعم كسبهُ للمواشي وسمدت الارض بزبلها وحرق قشر البزر في المعامل المصرية ورُدَّ رمادهُ الى الارض لما ضاع منها شيء يذكر من النيتروجين

ومن رأي المستر فودن ان القطن يضعف كثيرًا اذا تكررت زراعتهُ في الارض الواحدة ولو لم يأخذ منها عناصر كثيرة . ويظهر لنا ان هذه المسألة لا تزال مفتوحة للبحث لاننا رأينا اراضي كثيرة زرع فيها القطن سنة بعد سنة مرارًا ولا يزال يجود فيها جودةً فائقة الحد فعسى ان يبحث فيها احد ارباب الزراعة بحثًا مدققًا في انواع مختلفة من الارض لانهُ اذا ثبت ان زرع القطن ممكن ولو مرةً كل سنتين من غير ضرر فمن ذلك فائدة كبيرة

القطن المصري في اميركا

رأينا في التقرير السنوي من الديوان الزراعي في الحكومة الاميركية عن السنة الماضية ان الخواجات لاثروب وفيرتشيلد بعثا عشرين قنطارًا من بزر القطن الينوفتش الى الولايات المتحدة الاميركية فظهر انهُ اقوى على مقاومة الادواء من السي ايلند والابلند ولذلك فمن المحتمل ان تنتشر زراعتهُ في اميركا

العلف من عيدان الذرة

اهتمَّ الاميركيون من مدة وجيز في جعل عيدان الذرة علفاً للمواشي فوجدوا انهُ اذا صنعت آلة تكسر العيدان وتطحنها اكلتها المواشي واغتذت بها كما تغتذي بالعلف اليابس كالدريس ونحوهِ ويكون لها مزية على غيرها من العلف اليابس في انها تمتص الدبس او الدم فتصير من اجود انواع العلف . والظاهر ان الاميركيين لا يضيعون شيئاً من دم المواشي التي يذبحونها بل يجمعونهُ ويضيفونهُ الى العلف ومعلوم ان الدم من اكثر المواد غذاء لاحتوائهِ على كل المواد التي يتألف منها جسم الحيوان . والدبس مفيد ايضاً ولو قصرت فائدتهُ عن فائدة الدم وكلاهما يضاف الى دقيق عيدان الذرة فيصير بهِ علفاً مغذياً جداً وقد ثبت بالامتحان انهُ لا شيء مثل دقيق هذه العيدان لامتصاص الدم والدبس لاجل العلف

معرض طنطا الزراعي

فُتح معرض طنطا الزراعي في ٢٥ و٢٦ اكتوبر الماضي بعد كتابة باب الزراعة في المقتطف وعرض فيهِ ٢٥٠ حيواناً من الثيران والعجول والجواميس وكانت الثيران ولا سيما ثيران الشغل منها من اجود ما عرض في معارض العاصمة . وفتح المعرض البرنس ابرهيم باشا حلمي نائب رئيس الشركة الزراعية وهذه اسماء الذين نالوا الجوائز في هذا المعرض

جوائز الثور البلدي الذي عمرهُ ٣ سنوات او اكثر

الاولى	السيد محمد الغنيمي	٨٠٠	غرش
الثانية	احمد بسيوني	٦٥٠	غرشاً
الثالثة	خليفه بك حتاته	٥٥٠	"
الرابعة	احمد بك فريد	٤٥٠	"
الخامسة	محمد افندي حتاته	٣٥٠	"
السادسة	السيد حسين القصبي	٢٥٠	"
السابعة	محمد بك ابو جازية	١٢٥	"

جوائز الثور البلدي الذي عمرهُ من سنة الى ثلاث سنوات

الاولى	مرسي بك ابو جازية	٧٠٠	غرش
الثانية	سيد بك ابو حسين	٥٥٠	غرشاً

الثالثة	خليفه بك رمضان	٤٥٠	غرش
الرابعة	حسن بك زايد	٣٥٠	غرشاً
الخامسة	اسماعيل حماد	٢٥٠	"
السادسة	حسن بك زايد	١٥٠	"
السابعة	حسن بك زايد	١٠٠	"

جوائز بقرة بلدية حلوب او عشار يزيد عمرها على ٣ سنوات

الاولى	سعيد بك ابو حسين	٦٠٠	غرشاً
الثانية	خليفه بك حتاته	٥٠٠	"
الثالثة	منصور بك ابو حسين	٤٠٠	"
الرابعة	حافظ بك منشاوي	٣٠٠	"
الخامسة	سيد بك ابو حسين	٢٠٠	"
السادسة	عبد الحميد افندي سعيد	١٢٥	"
السابعة	منصور بك ابو حسين	٧٥	"

جوائز جوز ثيران خصية للشغل

الاولى	يوسف بك ابو جازيه	٧٠٠	"
الثانية	عوض الله اسكندر	٥٥٠	"
الثالثة	احمد بك الشريف	٤٥٠	"
الرابعة	سيد بك ابو حصين	٣٥٠	"
الخامسة	الشركة الزراعية الصناعية	٢٥٠	"
السادسة	محمود بك عبد الغفار	١٥٠	"
السابعة	احمد بك الشريف	٧٥	"

جوائز جاموس يزيد عمرهُ على ٣ سنوات

الاولى	محمد بك راسم	٥٠٠	"
الثانية	سيد افندي نصر	٣٥٠	"
الثالثة	حسن بك زايد	٢٧٥	"

جوائز جاموس عمرهُ اقل من ٣ سنوات

الاولى	خليفه بك رمضان	٤٠	"

الثانية	خليفه بك رمضان	٢٧٥	غرش
الثالثة	محمد افندي حتاته	١٥٠	"
	جوائز جاموسة عمرها اكثر من سنتين		
الاولى	منصوز بك ابو حسن	٣٥٠	"
الثانية	ابرهيم بك حسن	٢٥٠	"
الثالثة	ابو العينين جاد	١٢٥	"
شهادة درجة اولى	عيسوي بك سعيد		
شهادة درجة ثانية	شاهين بك الجنزوري		
	جوائز خروف مرعز عمره اكثر من سنة		
الاولى	محمد بك الهرميل	٣٥٠	"
الثانية	بوغوص باشا نوبار	١٧٥	"
الثالثة	السيد حسين القصبي	١٢٥	"
الرابعة	خليفه بك حتاته	١٠٠	"
	جوائز ثلاث نعاج مرعز		
الاولى	بوغوص باشا نوبار	٢٠٠	"
الثانية	خليفه بك حتاته	١٥٠	"
الثالثة	السيد حسين القصبي	١٢٥	"
الرابعة	محمد عبد الله	١٠٠	"
	جوائز خروف بلدي عمره اكثر من سنة		
الاولى	سيد بك سليمان	٢٥٠	"
الثانية	خليفه بك رمضان	١٧٥	"
الثالثة	عبد الحميد افندي سيد	١٢٥	"
	جوائز ثلاث نعاج بلدية		
الاولى	محمد افندي طاهر	٢٠٠	"
الثانية	عبد الحميد افندي سعيد	١٥٠	"
الثالثة	محمد افندي الخولي	١٢٥	"

جوائز بغل يصلح للاشغال الزراعية ومولود في مصر

الاولى	الشركة الزراعية الصناعية	٤٠٠	غرش
الثانية	عيسوي بك سعيد	٢٠٠	"
الثالثة	ميخائيل بك رزيان	١٠٠	"

جوائز الجمال

مدالية من فضة	عيسوي عيسوي ابو راضي
مدالية من برونز	عيسوي عيسوي ابو راضي

باب التقريظ والانتقاد

الفقه والتصوُّف

مأخذ الفقه في الاسلام القرآن والحديث . وقد كان المسلمون في الصدر الاول يتفقهون بفقهِ الشارع الاعظم ثم بفقه اصحابهِ والتابعين . ولما استطارت شرار الشرور بين الاخيار والاشرار والاقرباء والاغيار هلك جمهور كبير من اهل الذكر والفتيا فخيف لعموم البلوى بالجهل ان تضيع الاحكام بموت القادرين على استخراجها ويصبح القضاء والافتاء أُلعوبة بايدي من لا خَلاق لهم من العلماء فقُيض للفقه بعد ان سكنت نأمة الفتن قليلاً واشتدَّت حاجات الناس الى وضع احكام يسير فيها المسلمون مع الزمن ولا يخرجون عن محور الدين رجال توفروا على حسن خدمتهِ في القرن الثاني والثالث واعتمد اهل السنَّة من بينهم مذاهب الائمة الاربعة وهم مالك والشافعي وابو حنيفة واحمد بن حنبل لاشتهارهم بالعلم والعمل واعتقاد الامة الخير فيهم . فدونوا عنهم آراءهم واحكامهم في العبادات والمعاملات وان لم يسمح هؤُلاء الاعلام باخذ شيءٍ عنهم قبل التثبت فيما ذهبوا اليهِ ليرى الباحثون بالبرهان صحة ما عزي الى متن الدين ونقل من اقوال المتسلسل فيهم وعنهم

وبعد هذا حضرت الدائرة واكتفى القوم بما دُوّن وحرر وانشأ ينقل القرن بعد القرن الى يوم الناس هذا مشفوعًا بما زاد عليهِ الفقهاء الذين جاءوا بعد من الشروح والحواشي التي ارتأوا اضافتها الى مذاهبهم بحيث اصبح المكتوب في الفقه الاسلامي يربو على مئة حمل من الاوراق ان لم اقل اكثر . وترقت الحال بالمتأخرين حتى كادوا يدثرون اقوال الائمة انفسهم

و يستعيضون عنها بتلك المطولات التي تضيع الاعمار في تعلمها وتضل عقول المستفيدين في محاراتها خصوصاً وقد أُلبست في كل زمن لباساً غير لباسها الاول وصورت بحسب اذواق الحكومات وشهواتهم. وليت المتأخرين اكتفوا بالأُمهات وكفوا الناس مؤنة الاولاد المخدجة التي ولدوها فكانت مكدرة على الامة شرعة ارتقائها

وهناك بقيت فئة قليلة لم ترضَ التقيد بقول عالم من العلماء في اخذ الفقه ولما لم ترَ من العقل حصر الفضل في شخص معين اختارت فتح باب الاجتهاد وإطلاق الحرية لاهل البصر يستعملون عقولهم و يغوصون في عباب الدين فيخرجون منهُ ما هدتهم اليهِ احلامهم وافهامهم. لا سيما والائمة الاربعة وغيرهم من اهل النظر لم يأمروا بالوقوف عند الحدّ الذي وصلت اليهِ مبالغ علمهم وما اشاروا الى العمل بها الاَّ بعد عرضها على المنابع الاصلية الموثوق بها

وهذا كان شأن الحنابلة والشيعة والزيدية والخوارج والمعتزلة وقد تركوا باب الاجتهاد مفتوحاً الى ان يشاء الله لمن توفرت فيهِ شروط الاخذ من الاصل على نحو ما تقرر في كتب الفقه . وقام في القرن الثامن للهجرة الامام ابن تيمية الحراني فجدَّد ما عفا من هذا الطريق واصلح ما وقع فيهِ الفقهاء من قبلهِ وفي عصرهِ من الاغلاط الشائنة ولم تساعدهُ العناية لاتمام دعوتهِ فاضطهد وقضى سجيناً في قلعة دمشق . وكان على التحقيق في الاسلام مثل لوثيروس في النصرانية الاَّ ان هذا وجد في اوربا مئات من المستعدين لقبول دعوتهِ فظهر اصلاحهُ الديني حق ظهورهِ وهذا لقي من المعاكسات ضروباً والواناً الاَّ انهُ خلَّف من الآثار الممتعة ما حصل بهِ نوع من العزاء وترك من التلامذة الاعلام مثل ابن القيم وابن عروة وابن الجوزي وابن رجب وابن الزملكاني والذهبي وغيرهم . ومن العجيب في تاريخ ابن تيمية انهُ كان محبوباً جداً من ملك عصرهِ ولم يقدر ان يكف عنهُ عادية التعصب الاعمى ولوثيروس حماهُ حاكم سكسونيا مع طلب البابا لهُ في ذاك الوقت طلباً حثيثاً

وما برحت بذرة الاجتهاد تنقل من ارض الى ارض وتتلقح الفكرة فيها من ذهن الى ذهن الى ان قام في القرن الثاني عشر محمد بن عبد الوهَّاب ودعا الناس في نجد وما والاها الى اليقين ومشي على قدم ابن حنبل وابن تيمية في بث روح الاجتهاد وقام بعدهُ الشوكاني اليماني فقال بقولهِ واجتهد برأيهِ ووضع تآليف عدة في الفقه ودعا الى الاجتهاد وعاصرهُ وتقدمهُ ايضاً كثير من العلماء في صنعاء وصعدة ثم قام في القرن الماضي حسن صديق خان ملك بهوبال والَّف كتباً جمة وفيها دعوة الى الاجتهاد ولما انتشرت تآليفهُ بالطبع في الهند والاستانة انتبه كثير من نبهاء العلماء الى وجوب الاجتهاد وشاعت هذه الدعوة بعض الشيوع في مصر والشام

والعراق والهند وغيرها من بلاد الاسلام

وممن جاهر هذه الايام بالاجتهاد وتشذيب الفقه من عروقهِ الجافة صديقي الاستاذ الفاضل عبد الحميد افندي الزهراوي من نوابغ رجال سورية فقد نشر رسالة اودعها اراءهُ في الفقهِ والاجتهاد بعبارات تشف عن اقدام ومجانبة للترقيع والتقيَّة وكتبها بقلم حرّ لا يخشى اللوائم وحبذا لو قلل فيها من الخطابيات التي تنكر عليهِ في تقرير الحقائق العلمية ولعلهُ رأى ان اكثر القوم لا يقنعهم ويؤثر في افكارهم الاَّ بمثل هذا اللسان الحادّ

وقد اضاف الى رسالتهِ الجديدة مقالة ثالثة في التصوف بيّن فيها حقيقتهُ وطرفًا من تاريخهِ تضيق هذه العجالة عن الكلام عليها وسأفرد لها مقالة خاصة في ظريد هذه المجلة

القاهرة محمد كردعلي

تقارير ديوان الزراعة السنوي

Annual Reports of the Department of Agriculture 1900.

اهدي الينا تقرير وزير الزراعة في الولايات المتحدة الاميركية عن اعمال ديوان الزراعة في العام الماضي وقد قال سعادتهُ في فاتحتهِ مخاطبًا رئيس الولايات المتحدة "ان الحكومة الاميركية شرعت في الانفاق على مساعدة المباحث الزراعية منذ سنة ١٨٣٩ وبلغ ما انفقتهُ حينئذٍ على هذه الغاية الف ريال ثم انشأت ديوان الزراعة سنة ١٨٦٢ وقد اتسع نطاق هذا الديوان الآن وكثرت فوائدهُ ومن اهم اغراضهِ مساعدة اهل الزراعة والبحث عما تستوردهُ البلاد من الحاصلات الزراعية لكي تهتم بانتاجهِ فيها والبحث في المسكونة عن الحبوب والاثمار والخضر والبقول والقطاني التي يمكن ان تزرع في الولايات المتحدة وتفضَّل على ما يزرع فيها الآن وانتاج اصناف جديدة من النبات بالتوليد والتجنيس ومساعدة دور الامتحان الزراعي في كل ما يأول الى نفع اهل الزراعة والبحث عن الاسواق الجديدة التي يمكن ان تروج فيها حاصلات البلاد

وما تنفقهُ الحكومة على ديوان الزراعة هو رأس مال تكتسب بهِ البلاد اضعاف ما تنفقهُ الحكومة فالبحث عن تقلبات الهواء صار امرًا ضروريًّا للتجارة واصحاب البساتين وغيرهم من اهل الزراعة . والبحث عن اللحم وخلوهِ من الامراض يأول الى حفظ الصحة العامَّة والى اقناع البلدان الاجنبية بجودة لحمنا وابتياعهِ منا . وهذا الديوان هو الذي ادخل زراعة البرتقال في كليفورنيا وحفظها من الآفات وهو الذي اعتنى بصناعة السكر والشاي . ومباحثهُ الباثولوجية

منعت خسائر كثيرة كانت تصيب البلاد لولاهُ . وادارة البحث عن الحشرات تفيد البلاد سنويًّا اكثر من كل النفقات التي تنفقها الحكومة على ديوان الزراعة . ولهذه الادارة الفضل في ادخال زراعة التين الازميرلي الى البلاد الاميركية لانها وجدت الحشرة التي يتلقَّح بها هذا التين فافادت البلاد فائدة عظيمة . والبحث عن التبغ افاد البلاد ايضاً فائدة لا تقدَّر بالمال

ثم استطرد الوزير الى ذكر ما فعلهُ كل فرع من فروع ديوان الزراعة وقال ان فرع نشر الكتب والمنشورات الزراعية طبع ووزع في العام الماضي سبعة ملايين نسخة ولم يفِ بالحاجة وقد طبع منذ سنة ١٨٩٧ الفاً وستمئة مؤلف ووزع منها واحداً وعشرين مليون نسخة

تقرير المتحف الوطني باميركا

عن سنة ١٨٩٧ و١٨٩٨

هما كتابان كبيران في الاول منهما ١٠٢١ صفحة ومئات من الصور والرسوم ومقالات مسهبة في شرح ما في ذلك المتحف الكبير . من ذلك مقالة في الحلازين وُضحت بثمانين صفحة من الصور البديعة الصنعة . ومقالة في ادوات التدخين التي كان الاميركيون الاصليون يستعملونها لتدخين التبغ وهي طويلة ملأَت نحو ٣٠٠ صفحة وفيها ٢٣٧ صورة واربع خرائط ومقالة عن السهام والسنان والسكاكين ملأَت ١٧٤ صفحة وفيها ٢٠٠ صورة و٥٨ صفحة مصورة

وفي الكتاب الثاني ١٢٩٤ صفحة واكثرهُ مقالة واحدة عن الافاعي ملأَت نحو ١١٠٠ صفحة ووضحت بثلاثمئة وست وثلاثين صورة

تقرير الدار السمثسونية السنوي

لسنة ١٨٩٨

أُهدي الينا هذا التقرير المفيد وفيهِ ست وثلاثون مقالة من المقالات العلمية التي كتبها كبار العلماء في مواضيع مختلفة فلكيَّة وطبيعيَّة وفسيولوجيَّة وجيولوجيَّة وما اشبه مثل مقالة للسر نورمن لكير في كيمياء النجوم ومقالة للمسو لوي والمسيو لويزو عن وجه القمر ومقالة للاستاذ لنغلي عن مذهب لاساج في الجاذبيَّة ومقالة للاستاذ دوَر عن تسييل الهيدروجين والهاليوم ومقالة عن اصل الانسان للمسيو ايجين ديبوي ومقالة عن برون سيكار للاستاذ برتلو ونحوذلك ن المواضيع العلمية المفيدة

والدار السمثسونية تملك نحو مئتي الف جنيه من هبات منشئها المستر سمثسن وغيره من الكرماء يبلغ ريعها في السنة نحو عشرة آلاف جنيه تنفقها على نشر العلوم والفنون في الولايات المتحدة الاميركية وعضد العلماء والفضلاء فتفيد البلاد فوائد تقدَّر بالملايين وهي من جملة الوسائل الكثيرة التي ارتقت بها تلك البلاد وفاقت سائر بلدان الارض غنىً وعزَّةً في سنين قليلة

مقدمة ابن خلدون

مقدمة ابن خلدون كتاب غني عن التعريف وقد عني بشكلهِ حضرة الكاتب البليغ رشيد افندي عطيه احد محرري جريدة لسان الحال ثم نظر فيهِ وصحح ما احالتهُ عن اصلهِ ايدي النساخ والطبَّاع حضرة العالم المدقق واللغوي المحقق المعلم عبد الله افندي البستاني وطبع طبعاً متقناً بالشكل الكامل في مطبعة لسان الحال المعروفة بالمطبعة الادبية وجُعل ثمن النسخة منهُ خمسة فرنكات وهو ثمن زهيد في جانب ما اقتضاهُ طبعهُ على هذه الصورة من العناء الكثير

كتاب مسك الدفاتر

بقلم حضرة الاديب سليم افندي ابرهيم صادر صاحب المكتبة العمومية في بيروت وهو حسن الاسلوب قريب المأخذ جامع ما يحتاج اليهِ طالب هذا الفن وقد يدركهُ فيهِ من غير استاذ او بارشاد قليل . وثمنهُ عشرة غروش وهو يطلب من المكتبة العمومية في بيروت

رواية

عوامل النجاح ووسائل الاصلاح

وضع هذه الرواية حضرة الكاتب الاديب مينا افندي راغب ورصَّعها بكثير من الآيات الكتابية والابيات الحكمية والمواعظ والحكم وجعل وقائعها في هذا القطر لكي يذكر فيها العادات التي يجب الاقلاع عنها والفضائل التي يجب التمسك بها فاجاد وافاد . وحبذا لو ترك السجع واكتفى باصلاح كلام المتكلمين حتى يصير معرباً وقلَّل من الاشعار حيث لا تنتظر ممَّن نُسبت اليهِ فان القارئ يود ان يكون ما يقرأهُ او يسمعهُ وارداً على اسلوبهِ الطبيعي من غير تكلُّف كثير واما حيث الكلام وارد عن لسان واضع الرواية فلا بأس بافراغهِ في قالب السجع والشعر ايضاً

باب المسائل

(١) اختراع الدراجة

سان بولو بالبرازيل الخواجه ابرهيم شحاده فرح . في اي سنة اخترعت الدراجة (البسيكل) ومن هو مخترعها وهل ركوبها مفيد للصحَّة وموافق للاجسام في اي عمر كان

ج صنع البارون فون دراس الفرنسوي نزيل انكلترا دراجة منذ سنة ١٨١٨ وكان يركب عليها ويدفع الارض بقدميهِ فتسير بهِ ثم اهملت لتهكُّم الناس على راكبها . وسنة ١٨٤٦ صنع رجل اسكتلندي اسمهُ غافن دلزل دراجة سميت الحصان الخشبي ولكن لم يشع استعمالها حتى سنة ١٨٦٧ حين اضاف اليها المسيو ميشو الدواستين والمقبض الذي تدار بهِ العجلة المتقدمة فشاعت كثيرًا ثم أُهمل امرها لانها كانت تتعب راكبها كثيرًا حتى سميت بما معناهُ هازة العظام (boneshaker) واخيرا اضاف اليها الانكليز اطار الكاوتشوك واصلحوا فيها اصلاحات أُخرى حتى صارت على ما هي عليهِ الآن . وركوبها مفيد للاعمال لانهُ يغني عن المشي والانتقال بها اسرع كثيرًا من الانتقال بالمشي واقل تعبًا وتفيد الصحة لانها تروّض الجسم ولكن الافراط في ركوبها مضرٌّ جدًّا ولا سيما للمصابين بالامراض القلبيَّة . والشكل الواطئ المقبضين او الذي مقعدهُ بعيد عن مقبضيهِ يضرُّ دائمًا من يركبهُ لانهُ يضطرهُ الى الاحديداب فلا يجوز للاولاد ان يركبوهُ

(٢) تعمير الزنوج في برازيل

ومنهُ . ما هو السر في تعمير الزنوج في هذه البلاد فان عمر احدهم وهو ساكن في عاصمة الجمهورية ١٥٠ سنة ويوجد غيرهُ كثيرون من الذين فاقوا المئة وتقول احدى المجلات البرازيليَّة ان الرجل المشار اليهِ آنفًا اكبر انسان في العالم

ج اننا لم نرَ لاحد بحثًا عن سبب تعمير الزنوج في برازيل وما من دليل على انهم يعمرون فيها اكثر مما يعمرون في غيرها . ويظهر لنا ان الناس الذين يدَّعون بكثرة المعمرين منهم هم الذين لا يدققون كثيرًا في تواريخ المواليد ففي ارلندا ٥٧٨ من الذين جازوا المئة ولكن ليس في انكلترا كلها سوى ١٤٦ من الذين جازوا المئة . وفي البلغار ٣٨٨٣ من الذين جازوا المئة ولكن ليس في المانيا كلها سوى ٧٨ نفسًا من الذين جازوا المئة . وادّعاء الناس انهم جازوا المئة لا يؤْخذ حجَّة الا اذا ثبت ثبوتًا ينفي كل ريب . والرجل الذي تشيرون اليهِ ذكرناهُ في الصفحه ٨٧٩ من

المجلد العشرين من المقتطف في الكلام على التعمير والعمران وقيل هناك ان عمرهُ ١٥٠ سنة فان كان لا يزال حيًّا فقد بلغ عمرهُ الآن ١٥٥

(٣) النمو في الصيف والشتاء

مصر . حسن افندي حسين يوسف مهندس بقلم المساحة . هل نمو جسم الانسان اكثر في فصل الصيف منهُ في فصل الشتاء وما الدليل على ذلك

ج ان نمو الجسم يكون على اكثرهِ في فصل الخريف واوائل الشتاء ثم يقل رويدًا رويدًا حتى ينقطع في شهر ابريل ومن ثم يأخذ الجسم في النقصان فيفقد ما اكتسبهُ في فصل الشتاء ولا يبقى فيهِ الاَّ ما اكتسبهُ في الخريف هذا اذا كان آخذًا في النمو واما اذا كان قد بلغ شدَّهُ فيفقد كل ما اكتسبهُ. وقد اوضحنا ذلك و ذكرنا ما يظن من اسبابهِ في الصفحة ١٦٦ من المجلد الثالث عشر من المقتطف

(٤) تمييز الجنين

ومنهُ . هل يمكن ان يميز ما اذا كان الجنين ذكرًا او انثى في الشهر الرابع او الخامس بواسطة اشعة رنتجن التي يقال انهُ يرى بها ما في باطن الانسان

ج ان العلامات الظاهرة المميزة للذكر عن الانثى يظهر بعضها في الشهر الرابع وبعضها في الشهر السابع فلا نظن انهُ يتضح الفرق بين الذكر والانثى في الشهر الرابع او الخامس لا سيما وان ما يُرَى او يصوَّر باشعة رنتجن مما داخل جسم الانسان لا يكون واضحًا

(٥) الصلع وقصب السكر

اسيوط . اسكندر افندي سيد الدمنهوري . وقفت في الجزء العاشر من مقتطف هذه السنة على آراء الدكتور باركر في داء الصلع وقد رجحتم صحتها وقلتم ان النظرية مبنية على اخراج الهواء الفاسد من الرئتين وذلك بان يتنفس الانسان شديدًا . ومعلوم ان مص قصب السكر يلجئ الانسان الى شحن رئتيهِ بالهواء فيكون داعيًا لخروج الهواء المخزون فيهما فضلاً عن انهُ ينقي الدم ويدفئ في الشتاء ويجلو الاسنان فما رأيكم في ذلك

ج اننا لم نرجح آراء الدكتور باركر بل ذكرناها على علاَّتها والحقنا بها علامات الشك المعروفة فقلنا ان كانت الصور التي نشرها منقولة عن صور فوتوغرافية وان صح هذا التعليل وهذا العلاج . "وان" للشك كما لا يخفى . وهب ان العلاج صحيح والتعليل صحيح فمصُّ القصب لا يفي بالغرض لان المراد بالتنفُّس الشديد التنفس الذي يخرج الهواء كلهُ من الرئتين بالزفير بعد ان تملأَا بالشهيق لان معنى التنفس ادخال النفس الى الرئتين واخراجهُ منهما فاذا ادخل الانسان الهواء الى رئتيهِ بشدَّة اضطرَّ ان يخرجهُ منهما بشدة ايضًا فتتطهران مما فيهما وذلك لا يتم في مص القصب

باب الاخبار العلمية

كسوف الشمس الحلقي

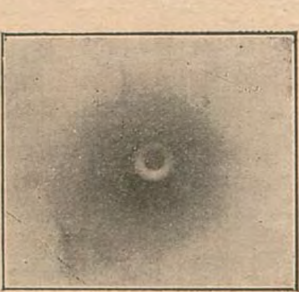

كسفت الشمس كسوفًا حلقيًا في ١١ نوفمبر ابتدأ الكسوف في القاهرة الساعة ٦ و لدقيقة ٣٠ والثانية ٧ صباحًا وصار حلقيًا الساعة ٧ والدقيقة ٥١ فصارت الشمس حلقة من نور وظهرت من خلال الزجاج المدخن كسوار من النضار او من البلور المصبوغ بلون البهار . ودام الكسوف الحلقي ثماني دقائق وسبع ثوانٍ وانتهى كلهُ وخرج القمر من امام وجه الشمس الساعة التاسعة والدقيقة ٣٣ والثانية ٦ . وقد قدَّر المرصد المصري انهُ يكسف ٠٫٩٥ من قطر الشمس حينما يتوسط الكسوف لكننا رأينا المكسوف اقل من ذلك كثيرًا وصوَّر احد اصدقائنا الشمس بالفوتوغرافيا وهذه هي صورتها منقولة الى التوتيا و يظهر فيها قطر القمر اصغر مما كنا نراهُ بالعين والحلقة الباقية من الشمس اوسع مما كنا نراهُ لانَّ نورها طفَّ على ما حولها وداخلها فاتسعت منطقتها

وقل النور كثيرًا وقت انتصاف الكسوف حتى ظُنَّ الضحاء مساءً وصارت دنانير النور في ظلال الاشجار اهلة فحلقات فاهلَّة وعادت مستديرة لما انتهى الكسوف

وظهر هذا الكسوف حلقيًا في جانب كبير من القطر المصري من دمياط شمالاً الى قرب المنيا جنوبًا . وجاء علماء الرصد من اوربا الى القاهرة ورصدوا الكسوف وصوروهُ وصوَّروا طيف النور وهو مارٌّ على حد القمر ليروا هل في جوّهِ هواءٌ يمتص اشعة النور فلم يجدوا للهواء اثرًا

الفحم من نفاية الخشب

رأى اهالي اسوج سبيلاً جديدًا للكسب من حراجهم الكثيرة فانهم يقطعون منها الخشب و يصنعون الورق ثم يجمعون النفايات الباقية التي لا فائدة منها كالنشارة واطراف الاخشاب ويضعونها في آلة كبيرة تخرج منها المواد القطرانية وتحوّل باقيها الى صفائح من الفحم . يوضع في الآلة الواحدة تسعة آلاف طن من النشارة وفضلات الخشب فتستخرج

منها ستة آلاف طن من الفحم و٥٣٠ طنًا من القطران و ٣٠٠ طن من خلاَّت الكلس و ٤٥ طنًا من الكحول الخشب وثمن ذلك كلهِ ١١٤٨٧ جنيهًا والنفقات التي يقتضيها ٧٦٦١ جنيهًا فيكون الربح الصافي ٣٨٢٦ جنيهًا مما كان يعدُّ نفاية

هبة علمية

وعد المستر كارنجي مدينة بتسبرج باربع مئة الف جنيه فوق هباتهِ الكثيرة لها يعطي نصفها للدار العلمية المسماة باسمهِ ونصفها الآخر لمدرسة الصناعة اما الهبة الكبرى التي وهبها لمدارس اسكتلندا وهي مليونان من الجنيهات فيقول العلماء الآن انها لا تكفي لما يُقصد انفاقها عليهِ ولذلك يطلبون المزيد . هذا شأن الامم التي تطلب الارتقاء فما اعظم الفرق بينها وبيننا فاننا اذا تبرع احد من اغنيائنا بمئة جنيه او بألف جنيه على مشروع علمي اشبعناهُ مدحًا وتبجيلاً حتى يظن انهُ فاق ما يُطلب منهُ وبلغ في الكرم حدَّ الافراط

تلغراف مركوني في ظهر البحر

استتبَّ لسفينتين من السفن ان تتخاطبا في ظهر البحر بتلغراف مركوني والبعد بينهما سبعون ميلاً ولا موصل بينهما غير ماء البحر والايثير المنتشر في الفضاء

بالون ديمون

اقرَّت اللجنة التي فُوّض اليها الحكم في جائزة دوتش على ما ذكرنا في الجزء الماضي ان المسيو ديمون استحقها فأُعطيت لهُ وكتب اليهِ المسيو دوتش يقول " لقد سرَّني جدًّا ان اللجنة اثبتت رأيي الذي اعربت لك عنهُ مرارًا وحكمتْ باستحقاقك الجائزة . وارجو ان لا تقف عند هذا الحد من النجاح بل تتمكن من السير في الهواء بمهارتك وشجاعتك وهمتك " اما الجائزة وهي مئة الف فرنك فقال المسيو ديمون انهُ يعطي نصفها لفقراء باريس ويوزع النصف الباقي على الصنَّاع الذين ساعدوهُ في عمل بالونهِ

الصوت والبعوض

ذكرنا في الجزء الماضي ان بعض الاصوات تجذب البعوض فيحوم حول مصدرها. ثم اطلعنا على رسالة بعث بها السر جرام مكسيم الى جريدة التيمس قال فيها انهُ وضع القناديل الكهربائية في ينابيع سراتوغا قرب نيو يورك باميركا سنة ١٨٧٨ فجعل محرك الكهربائية يصوت صوتًا كطنين البعوض ولما دنا منهُ وجد الهواء مشحونًا بالبعوض حول الصندوق الذي فيهِ محرك الكهربائية وكلهُ من الذكور . وقد علَّل ذلك بان الصوت يشبه صوت اناث البعوض فسمعتهُ الذكور وأُغريت بهِ

نيازك نوفمبر

لم ننبّه القراء الى نيازك نوفمبر هذا العام لاننا يئسنا منها بعد ان راقبناها في العام

الماضي والذي قبلهُ على غير جدوى . ولكن يقول الذين راقبوها في الرابع عشر والخامس عشر والسادس عشر من الشهر الماضي (نوفمبر) انها كانت كثيرة نوعاً ولا سيما في الخامس عشر فقد عدَّ بعضهم اكثر من مئة نيزك منها في اقل من خمس ساعات

علاج الحمَّى القلاعية

نشرت نظارة الحربية في ايطاليا منشوراً على الاطباء البيطريين تأمرهم فيهِ بان يعالجوا الحيوانات المصابة بالحمَّى القلاعية بحقن من مذوب بركلوريد الزيبق وملح الطعام تحقن بها في اوردتها وتؤَلف الحقنة من جرام من بركلوريد الزيبق و ٧٥ جراماً من ملح الطعام ولتر من الماء . ويحقن من هذا السائل ٣٠ سنتمتراً مكعباً في الحقنة الاولى و ٥٠ في الثانية و ٧٠ في الثالثة و ١٠٠ في الرابعة . ويقال ان كل الحيوانات التي عولجت بهذا العلاج شفيت من الحمى القلاعية

ترياق كلمت

نشرت جريدة اللانسست الطبية رسالة جاءتها من طبيب في بلاد الهند قال فيها ما ترجمتهُ ” دعيت ليلة الثالث والعشرين من اغسطس الماضي لمشاهدة امرأة لسعتها افعى كبيرة يظن انها الصل الهندي الخبيث وقيل لي ان الافعي لسعتها الساعة السابعة مساءَ اي قبل وصولي اليها بساعتين ولما وصلت رأيتها قد فقدت الشعور على ما يظهر وشلَّ حلقها وبدت عليها كل علامات الانسمام بسم الصل فحقنتها بحقنة من ترياق كلمت وانا احسب ذلك من قبيل العبث لانني اعتقد انها مائتة لا محالة لكن الترياق فعل بها فعلاً عجيباً فافاقت في اقل من ربع ساعة فحقنتها بحقنة اخرى ولم يمضِ عليها ثلاث ساعات بعد ذلك حتى فارقتها اعراض السم وقامت سليمةً

ترعة بناما ونيكاراغوى

يهتم كثيرون من الاميركيين الآن بفتح ترعة نيكاراغوى للوصل بين الاوقيانوس الاتلنتيكي والباسيفيكي ويفضلونها على ترعة بناما ويهتم غيرهم باتمام ترعة بناما ويفضلونها على ترعة نيكاراغوى ولكنهم يستصعبون الاتفاق مع الشركة الفرنسوية على ما لها من الاملاك والامتيازات . وقد طلبت الشركة الاميركية من الشركة الفرنسوية التساهل لها في بعض الامور فلم تجبها الى طلبها ولذلك عوَّلت على اختيار نيكاراغوى . وتقدر قيمة ما عند الشركة الفرنسوية من المقتنيات وما اتمتهُ من الاعمال بعشرة ملايين من الجنيهات فاذا قبلت بهذا الثمن فالشركة الاميركية تشتريها منها على ما يظهر وتتمها فيعود الى السهام القديمة شيء من قيمتها الاصلية

فهرس الجزء الثاني عشر من المجلد السادس والعشرين

١٠٥٧ لي هنغ تشنغ (مصوَّرة)
١٠٦٣ الفينيقيون وعمران اوربا
١٠٦٥ غذاء الفضل . لسعيد افندي الخوري الشرتوني
١٠٦٩ عمران دمشق (مصوَّرة) . لمحمد افندي كرد علي
١٠٨٠ حقن الادوية في الاوردة (مصوَّرة) . للدكتور ابرهيم شدودي
١٠٨٤ الصحيح من الفراسة
١٠٨٨ اصلاح نسل الانسان
١٠٩٢ حسناء القرية . لخليل افندي ثابت
١٠٩٨ مدينة الخرطوم (مصوَّرة)
١١٠٠ شبانفا والعمل . لاسعد افندي داغر
١١٠٧ اكتشاف اميركا واحتلالها

* * *

١١٠٢ باب المراسلة والمناظرة * طريقة الاستاذ شانتميس في علاج الحمى التيفوئيدية . هواجس ام وساوس . رواية جذيمة والزَّباء
١١٢١ باب تدبير المنزل * جورج ساند (مصوَّرة) نصائح في تربية الاطفال . نصائح للمرضع . غسل احرمة الصوف . نزع لطخ الدم . نساؤُنا والانشاء
١١٢٦ باب الزراعة * تقاوي القمح . زراعة الليمون . المزروعات المصرية . القطن المصري في اميركا . العلف من عيدان الذرة . معرض طنطا الزراعي
١١٣٤ باب التقريظ والانتقاد * الفقه والتصوُّف . تقارير ديوان الزراعة السنوي . تقرير المتحف الوطني باميركا . تقرير الدار الشمشسونية السنوي . مقدمة ابن خلدون . كتاب مسك الدفاتر . رواية عوامل النجاح ووسائل الاصلاح
١١٣٩ باب المسائل * اختراع الدراجة . تعمير الزنوج في برازيل . النمو في الصيف والشتاء . تمييز الجنين . الصلع وقصب السكر
١١٤١ باب الاخبار العلمية * وفيهِ ١٠ نبذ